الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامـــعـــة الـــوادي

كليـــة الآداب واللغـــات
قسم اللغة العربية وآدابها

مراعاة مقتضى الحال في الخطاب القرآني

قصة موسى u .أنموذجا.

مذكرة معدة ضمن متطلبات نيل شهادة الليسانس في اللغة العربية وآدابها

ل.م.د

إعداد الطالبات:

- إيـــــمان ســـــاكر
- سالمـــــة شيبانـــــي
- ســـــناء ســـليماني
- هالـــــة خـــــماد

إشراف الأستاذ:

- عبد الكريم حاقـــة

السنة الجامعية: 1434. 1435هـ / 2013. 2014 م

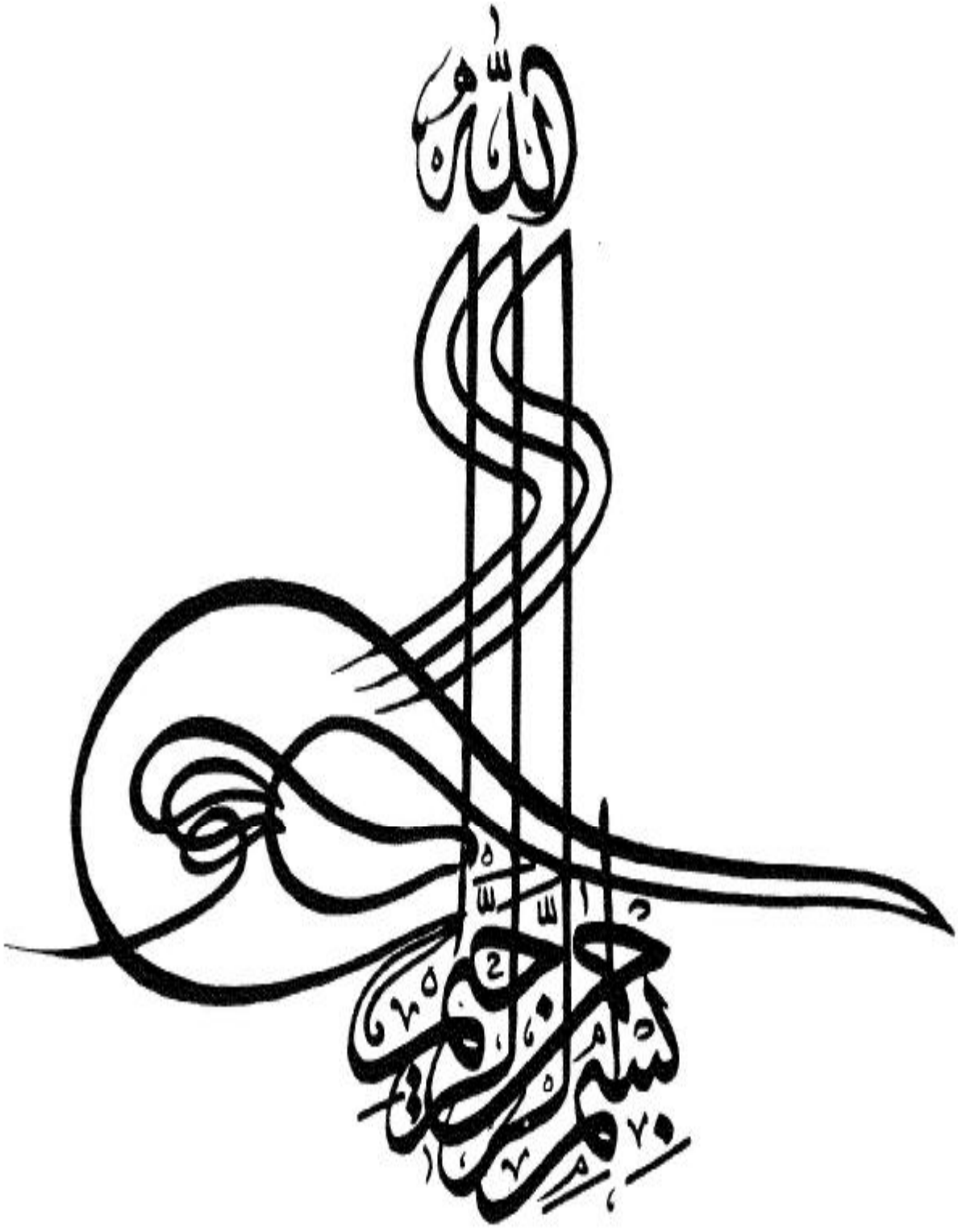
الله
بسم الله الرحمن الرحيم

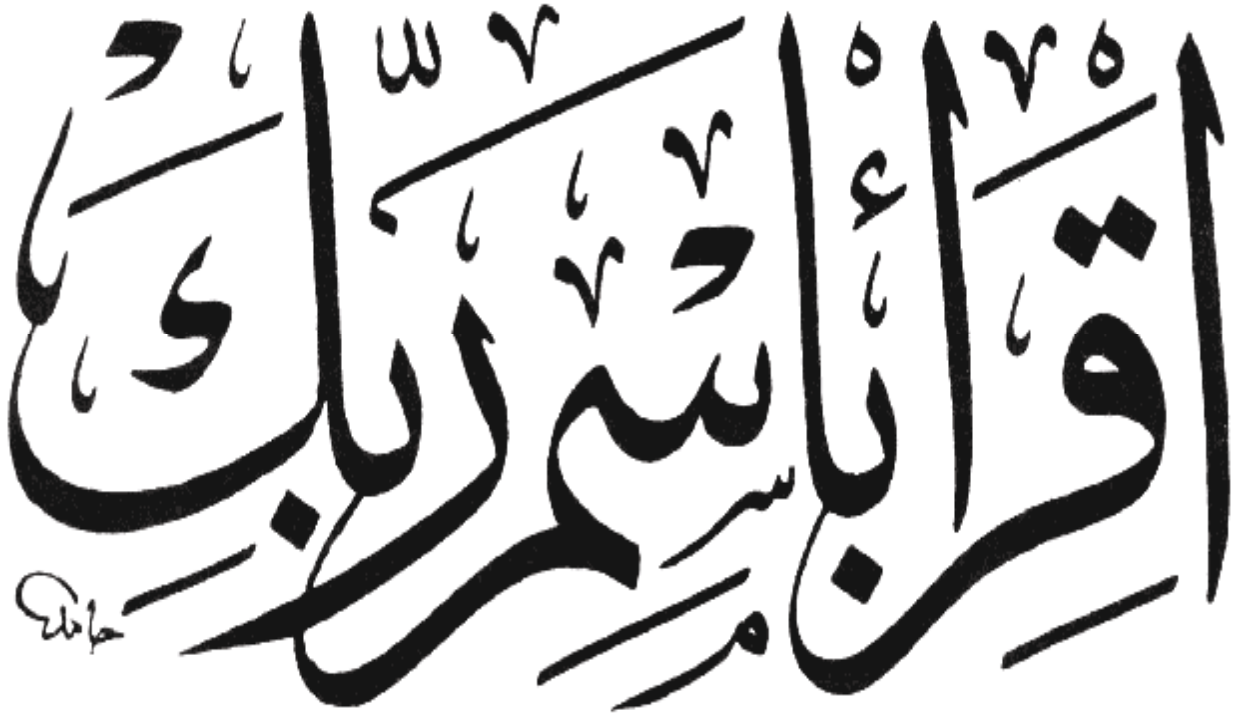
اقرأ باسم ربك

شكر و عرفان

ليس في الحياة أجمل من لحظة أن نجني ثمرة تعبنا و هو إتمامنا لهذا العمل المتواضع، متوجهين بالشكر والحمد لله أولا وأخيرا

وذلك لقوله تعالى: " لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ " إبراهيم:7.

كما نتقدم بالشكر والجزاء والتقدير بأسمى العبارات للأستاذ الفاضل "حاقة عبد الكريم" حفظه الله. على قبوله لإشرافه على هذا العمل الذي كان نعم المشرف الناصح لنا، فقد سخر فكره ووقته لمساعدتنا لإنجاز هذا العمل راجين من الله أن يكلله بالتوفيق وأن يكتب جهده في ميزان حسناته.

ونقدم كذلك شكرنا الجزيل وعرفاننا إلى الطالبة "مريم جوادي" المتحصلة على شهادة الماجستير في الإعلام الآلي و التي رافقتنا طيلة مشوارنا لإنجاز هذا العمل وزودتنا بالمراجع التي لم نتحصل عليها في المكتبة الجامعية.

وإلى كل طاقم المميزون للإنترنت والإعلام الآلي خاصة الأخ: السعيد

وأخيرا نسأل الله أن يعيننا وإياهم على مد جسور العلم،لتستفيد منه البشرية في حياتنا و سيرها نحو طريق السعادتين الرفاهية في الدنيا، والنعيم في الآخرة.

-بإذن الله تعالى-

فهرس

المحتـــــوى	الصفحة
شكر وعرفان.	
فهرس.	
مقدمة.	أ - ز
الفصل التمهيدي: دور القرآن الكريم في تطور البلاغة العربية.	
تمهيد.	09
أولا: الإعجاز القرآني.	10
1- تعريف القرآن.	10
- لغة.	10
- اصطلاحا.	10
- أسماؤه وأوصافه.	11
2- الإعجـــاز.	12
- تعريفـــه.	12
- آراء منثورة في الإعجاز القرآني.	13
3- لغة القرآن وألفاظه.	16
- لغة القرآن.	16
- ألفاظ القرآن.	16
4- أسلوب القرآن الكريم.	20
- مفهوم الأسلوب.	20
- مفهوم أسلوب القرآن.	20
- خصائص أسلوب القرآن الكريم.	22
ثانيا: البلاغة.	25
1-تعريف البلاغة.	26
- لغـــة.	26

- اصطلاحا.	26
2-أهم مبـــاحث البلاغة.	28
- علم المعاني.	29
- علم البيان.	30
- علم البديع.	31
3- الغرض من دراسة علوم البلاغة.	32
4- أهميـــة البلاغـــة.	33
5- علاقة البلاغة بالقرآن الكريم.	35
الفصل الأول: مراعاة مقتضى الحال في البلاغة العربية.	
1-مفهوم مراعاة مقتضى الحال.	44
- تعريف المراعاة.	45
- لغة.	45
- اصطلاحا.	46
- مفهوم مقتضى الحال.	48
2- مطابقة الكلام لمقتضى الحال.	51
- المطابقة في اللغة.	51
- المطابقة في الاصطلاح.	51
- المطابقة في البلاغة العربية.	52
- الأسس التي تبنى عليها مطابقة الكلام لمقتضى الحال.	54
3- زوايا مقتضى الحال وفقا للأسلوب القرآني.	55
- حال السياق.	55
- حال المتكلم.	58
- حال المخاطب.	59
4- مقتضى الحال والمطابقة عند البلغاء.	67
- مقتضى الحال عند البلغاء.	67

- المطابقة عند البلغاء.	70
- المطابقة عند عبد القاهر الجرجاني.	70
- المطابقة عند القزويني.	72
- المطابقة عند سيد قطب.	76
5- أهمية مقتضى الحال في إنشاء الخطاب البليغ.	80
الفصل الثاني: قصة موسى u .	
1- مدخل لقصة موسى u .	83
- السور التي ذكرت فيها قصة موسى عليه السلام.	84
- التعريف بموسى عليه السلام.	84
- واقع الناس قبل ميلاد موسى.	84
2- موسى من الميلاد إلى البعثة.	86
- موسى في قصر فرعون.	86
- موسى في مدين.	89
- التكليف بالرسالة.	89
3- موسى ما بعد البعثة.	94
- تقديم المعجزات.	94
- مواجهة موسى مع السحرة.	95
- المؤامرة على موسى وقومه.	97
- النجاة مع بني إسرائيل.	99
الفصل الثالث: مراعاة مقتضى الحال في قصة موسى.	
1- مراعاة مقتضى الحال في خطاب موسى u لفرعون.	103
- تكليف موسى u بالدعوة لفرعون.	103
- المواجهة بين موسى u وفرعون في الدعوة.	106
- مجادلة فرعون لموسى u في أمر الربوبية.	109
- سخرية فرعون و تهديده.	111

- لقاء موسى بالسحرة وإيمانهم.	117
2-مراعاة مقتضى الحال في خطاب موسى u لأخيه هارون.	119
3-مراعاة مقتضى الحال في خطاب موسى u لقومه (بني إسرائيل).	124
4-مراعاة مقتضى الحال في خطاب موسى u للرجل الصالح.(صاحب مدين).	131
5-مراعاة مقتضى الحال في خطاب موسى u مع الخضر.	133
خاتمـــــة.	142
قائمة المصادر و المراجع.	145

مُقَدِّمَةٌ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله أفصح الفصحاء وإمام البلغاء إلى يوم الدين، وبعد:

فقد نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين، بأفصح لسان وأبلغ بيان، خاطب الله به العلماء والدهماء، والخاصة والعامة والرجال والنساء، فكان كل خطاب فيه بحسب ما يقتضيه المقام من وعد ووعيد وزجر وتهديد وترغيب وترهيب، وكان هذا التنوع في الخطاب على حسب نوعية المخاطبين، ولا يخفى على علماء العربية وجهابذة اللغة مدى بلاغته، وكيف يخفى عليهم ذلك وهو معينهم الأول ورافدهم الأصيل، وهو العطاء المتجدد والينبوع الصافي العذب الذي يبهر العقول وأراح النفوس وطمأن القلوب، وكيف لا يكون كذلك وقد راعى الأحوال وقدر الظروف وسبر أغوار النفوس، فجاء رغم ذلك مقتضيا للحال مغنيا في كل مقام عن أي مقال.

إن النص القرآني لا ينتهي عجائبه ولا تنتهي منابع الجمال فيه عند حد، بل تفيض دوما بالكثير والكثير من ألوان الجمال وأصناف الإعجاز على مر الزمان والدهور، ومن ألوان اعجازاته ما يحويه من القصص القرآني البليغ، إذ تعد القصة القرآنية من أبرز وأنجع وسائل الدعوة إلى الله، فإن تكرارها في سورة من سور القرآن من صور الحكمة التي تواجه المدعو بما لذ وطاب من فنون الخطاب، ذاكرة من عناصرها في سورة ما يناسب جوها العام، فلعل هذا التلوين ما يشبع حاجة المدعو والذي لا يصبر على طعام واحد، ليجد نفسه أمام حشد من الصور والدلائل والإشارات، تخاطب أقطار نفسه كلها، والقصة القرآنية التي وقع اختيارنا عليها لنبين ما ثناياها من وجوه هذا

الإعجاز القرآني بمراعاتها الأحوال والظروف هي قصة كليم الله موسى –عليه السلام-، حيث تعد هذه القصة من أحسن القصص القرآني بلاغة وتكرارا.

وهذه أهم النقاط لدراسة هذا الموضوع:

مشكلة الدراسة وأسئلتها:

- هل الخطاب القرآني واحد لسائر الناس أم هو متنوع حسب تنوع المخاطبين؟
- وهذه الإشكالية تتفرع عليها جملة من الأسئلة التالية:

1. كيف تحققت البلاغة القرآنية من ناحية مطابقة الخطاب القرآني لمقتضى الحال؟
2. ما أوجه البلاغة التي تتمثل فيها مراعاة مقتضى الحال؟
3. كيف تسهم مراعاة مقتضى الحال في نجاح الرسالة والدعوة إلى الله؟
4. كيف تحققت البلاغة القرآنية في قصة موسى عليه السلام من خلال مراعاتها لمقتضى الحال؟

مبررات الدراسة:

أولا لقد اخترنا هذا الموضوع قبل كل شيء خدمة لكتاب الله عز وجل وطلبا لرضوانه ولكشف الحقيقة التي تقتضي الانصياع لهذا الدين والتمسك به.

أما غرضنا الثاني من دراسة هذا الموضوع هو أننا أحببنا أن نطلع عن قرب عن سر من أسرار إعجاز القرآن الكريم في بلاغته، ولا يخلق على كثرة الرد ولا يشبع منه العلماء، فقد أردنا أن ندلي بدلونا في مبحث من مباحثه، وقد وقع اختيارنا على هذا الموضوع المهم وهو دراسة جانب من

جوانب البلاغة القرآنية المتمثلة في تنوع الخطاب القرآني على حسب تنوع المخاطب ومنه جاء عنوان بحثنا: **مراعاة مقتضى الحال في الخطاب القرآني، قصة موسى عليه السلام أنموذجا.**

منهجية الدراسة:

لابد لكل عمل أكاديمي وبحث علمي أو أدبي من منهجية ينتهجها لدراسة موضوعية، والمنهج الذي اخترناه لبحثنا هو المنهج التحليلي الوصفي، إذ رأينا أنه هو الأنسب والأمثل لهذه المواضيع التي تدرس إحدى جوانب الإعجاز والبلاغة القرآنية.

خطة الدراسة:

جاءت هذه الدراسة متدرجة في مبناها بما يتلاءم مع تقسيمات وطبيعة هذا الموضوع المدروس على نحو المنهج والخطة التالية:

- المقدمة.

- الفصل التمهيدي: نتعرف في هذا الفصل على دور القرآن الكريم في تطور البلاغة العربية، ويحتوي هذا الفصل على مبحثين أساسيين:

أولا: الإعجاز القرآني: وتطرقنا فيه إلى ما يلي:

1. تعريف القرآن الكريم: لغة واصطلاحا.
2. تعريف الإعجاز القرآني.
3. لغة القرآن ومفرداته.
4. أسلوب القرآن الكريم.

ثانيا: البلاغة: وضحنا عناصرها في النقاط التالية:

1. تعريف البلاغة.
2. لغة واصطلاحا.
3. الغرض من دراسة البلاغة.
4. أهمية البلاغة.
5. علاقة البلاغة بالقرآن الكريم.

الفصل الأول: وقد كان تحت عنوان "مراعاة مقتضى الحال في الخطاب القرآني"، وقد تحدثنا فيه عن جملة من النقاط أهمها.

1. مفهوم مراعاة مقتضى الحال.
2. مطابقة الكلام لمقتضى الحال.
3. زوايا مقتضى الحال وفقا لأسلوب القرآن الكريم.
4. مقتضى الحال والمطابقة عند البلغاء.
5. أهمية مقتضى الحال في إنشاء الخطاب البليغ.

الفصل الثاني: تحدثنا في هذا الفصل عن قصة موسى عليه السلام وفق سردها في سور القرآن الكريم.

1. مدخل لقصة موسى عليه السلام.
2. السور التي ذكرت فيها قصة موسى عليه السلام.

3. موسى من الميلاد إلى البعثة.

4. موسى عليه السلام ما بعد البعثة.

الفصل الثالث: أخذنا في هذا الفصل الجانب التطبيقي لموضوع دراستنا، إذ طبقنا على أروع وأكثر قصص القرآن ذكرا، وهي قصة موسى عليه السلام، مبرزين أهم النقاط التالية:

1. مراعاة مقتضى الحال في خطاب موسى عليه السلام لفرعون.

2. مراعاة مقتضى الحال في خطاب موسى عليه السلام لأخيه هارون.

3. مراعاة مقتضى الحال في خطاب موسى عليه السلام لبني إسرائيل.

4. مراعاة مقتضى الحال في خطاب موسى عليه السلام للرجل الصالح (صاحب مدين).

5. مراعاة مقتضى الحال في خطاب موسى عليه السلام للخضر.

وفي آخر المطاف تعرضنا إلى الخاتمة والتي استخلصنا فيها مجموعة من النقاط والنتائج المتوصل إليها من خلال دراستنا لهذا الموضوع.

وطبعا لابد لهذه الدراسة من مصادر و مراجع تلم بها، وبكل جانب من جوانبها، ونذكر أهم هذه المراجع في الفصول الأربعة.

- القرآن الكريم.
- تفسير التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور.
- تفسير الكشاف لجار الله الزمخشري.
- تفسير الظلال لسيد قطب.

- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية لمصطفى صادق الرافعي.
- من بلاغة القرآن والبلاغة النبوية لمصطفى صادق الرافعي.
- من بلاغة القرآن الكريم لأحمد أحمد بدوي.
- البلاغة تطور وتاريخ لشوقي ضيف.
- أسئلة بيانية في القرآن الكريم لفاضل صالح السامرائي.
- قطرات في الإعجاز البياني للقرآن الكريم لسامي محمد هاشم حريز.
- كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري.
- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية لعبد العظيم إبراهيم المطعني.
- البلاغة فنونها وأفنانها لفضل حسن عباس.
- القصص القرآني لجاد المولى.
- مع الأنبياء في القرآن الكريم لطبارة عفيف عبد الفتاح.
- القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته للخالدي صلاح عبد الفتاح.

ولا يخلو كل بحث من الصعوبات والعراقيل التي تعرقل مساره، فقد واجهتنا بعض الصعوبات لعل أهمها كان في الجانب التطبيقي، وهو تطبيق مراعاة مقتضى الحال في قصة سيدنا موسى عليه السلام.

وفي الأخير نشكر بامتنان أستاذنا المشرف الذي رغم انشغالاته العلمية، إلا أنه منحنا الكثير من وقته وجهده، والذي تطوعنا وإياه أن يتم هذا العمل على أكمل وجه.

ونسأل الله أن يبارك له وأن يثبت خطانا ويمدنا بعونه وتوفيقه.

الفصل التمهيدي
دور القرآن الكريم في تطور البلاغة العربية

تمهيد.

أولا: الإعجاز القرآني.

1-تعريف القرآن: لغة، اصطلاحا.

2-تعريف الإعجاز القرآني.

3-لغة القرآن ومفرداته.

4-أسلوب القرآن الكريم.

ثانيا: البلاغة.

1-تعريف البلاغة: لغة، اصطلاحا.

2-أهم مباحث البلاغة.

3-الغرض من دراسة علوم البلاغة.

4-أهمية البلاغة.

5-علاقة البلاغة بالقرآن الكريم.

تمهيد:

ليس هناك علم من العلوم النظرية أو التجريبية برز إلى الحياة مكتمل الأصول والظواهر، وإنما الذي ثبت على مر التاريخ أن أي فرع من المعرفة ينشأ نشأة تدريجية يبدأ بلبنة أو لبنات قليلة، ثم تتكاثر هذه اللبنات وتتطور بجهود المشتغلين بذلك العلم والدارسين له، وما يلبث أن ينضج ويزدهر، ثم تختلف العلوم بعد ذلك في سدى ثبات أصولها أو تعرضها للتغيير، ولاشك أن علوم اللسان ومن بينها علوم البلاغة أكثر استقرارا في أصولها وظواهرها من العلوم الأخرى، لكن هذا لا يعني توقف البحث فيها، فهي بحاجة دائما إلى متابعة الجهد ومداومة الدرس، مادامت مادة عملها هي اللغة، تتغير في أنساقها التركيبية وصورها، خاصة في مجال الإبداع الأدبي، طبقا لتغيّر مفهوم الفن وخصائص أدواته التعبيرية.

ومن المصادر المتميزة في نشأة البلاغة العربية وتطورها مصدر عظيم الخطر، وكان له دوره الفعال في تشكيل مسار البحث البلاغي، وهو القرآن الكريم، فقد جاء بلغة العرب، وتألّف من جنس الحروف والكلمات التي تألّف منها الشعر والشعراء، ونثر الخطباء، ولكنه فاقهما ببراعة النظم وإحكام تراكيبه، وظهر ذلك في عجز أفصح فصحائهم عن الإتيان بمثل أقصر سورة منه.

إذن سنتطرق في هذا الفصل إلى دراسة وتحليل أهم ما جاء به علم البلاغة والمباحث التي تناولها، بالإضافة إلى دراسة القرآن الكريم، وبيان دوره في تطور البلاغة العربية، ومن ثم إدراك العلاقة القائمة بينهما.

1- الإعجاز القرآني:

1-1- تعريف القرآن:

1-1-1- لغة: جاء في لسان العرب في مادة (قرأ) قرأه يقرؤه قرءاً وقراءة وقرآنا، والقرآن هو التنزيل العزيز، و قُدِّم على ما هو أبسط منه لشرفه، وقرأت الشيء قرآنا، جمعته وضممته بعضه إلى بعض، وقرأت الكتاب قراءة و قرآنا و منه سمّي القرآن، وأقرأه، القرآن فهو مقرئ ومعنى قرأت القرآن لفظت به مجموعاً.[1]

وتحدث ابن فارس في معجمه مقاييس اللغة في مادة (قُرَى) إذ يقول: القاف والراء والحرف المعتل أصل صحيح يدل ما على الجمع واجتماع ويقال جمعت الماء في المِقراة جمعته و منه القرآن، كأنه سمي بذلك لجمعة ما فيه من أحكام وقصص.[2]

وقرأت بمعنى "قرأت القرآن"، لقوله تعالى: "فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله" النحل 12، وقرأناه أي القرآن لقوله تعالى: "فإذا قرأناه فاتبع قرآنه" القيامة 85، وقرأه قراءة لقوله تعالى: "ولو نزلناه على بعض الأعجميين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين" الشعراء 26.[3]

1-1-2- اصطلاحا: ذكر العلماء تعريفا له يقرب معناه ويميزه عن غيره، فيعرّفونه بأنه "كلام الله، المنزّل على محمد (صلى الله عليه وسلم) والمتعبد بتلاوته".

---

1 - ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، (دط)، القاهرة، (دت)، باب (القاف)، مادة (قرأ)، م:5، ص: 3563.

2 - ابن فارس، أبي الحسين أحمد بن زكرياء. مقاييس اللغة، تحق: عبد السلام، محمد هارون. 1979م، 1399هـ، باب القاف مادة (قرى)، ج:5، ص: 78.

3 - عبد الباقي، محمد فؤاد. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مطبعة دار الكتب المصرية، (دط)، (دب)، 1364هـ، باب القاف مادة (قرأ)،ص:539-540.

فالكلام يشمل كل الكلام وإضافته إلى الله يُخرج كلام غيره من الإنس والجن والملائكة.

والمنزل يخرج كلام الله الذي استأثر به سبحانه وتقييد المنزل كالتوراة والإنجيل وغيرهما.

والمتعبد بتلاوته معناه الأمر بقراءته في الصلاة وغيرها على وجه العبادة.[1]

فالقرآن معجزة الله الخالدة الذي يتحدى به الأجيال كلها أن يأتوا بمثله لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم على بعض ظهيرا، كما ذكر الله سبحانه وتعالى في محكم التنزيل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو حجة الله على خلقه، وحجة النبي في رسالته، وسِجِلّ الشريعة المحكم في بيانه، وهو المرجع عند الاختلاف والحكم العدل عند الافتراق، وهو الطريق المستقيم المرشد عند الاعوجاج، من سلكه وصل ومن لجأ إليه اهتدى.[2]

1-1-3: أسماؤه وأوصافه:

قد أسماه الله بأسماء كثيرة منها:

"**القرآن**": "إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم" الإسراء 9.

"**الكتاب**": "لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم" الأنبياء 10.

"**الفرقان**": "تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا" الفرقان 1.

"**الذكر**": "إنا نحن نزلنا الذكر وإنّا له لحافظون" الحجر9.

"**التنزيل**": "وإنه تنزيل ربّ العالمين" الشعراء 192.

1 - قطان، مناع. مباحث في علوم القرآن، مكتبة وهبة، ط1، (دب)، 2000م، ص: 16.

2 - أبو زهرة، محمد. القرآن المعجزة الكبرى، دار المعارف العربية، (دط)، (دب)، (دت)، ص: 15.

وقد غلب من أسمائه **"القرآن"** و**"الكتاب"**، قال الدكتور عبد الله دراز: روعي في تسميته "قرآنا" كونه متلو بالألسن، و روعي في تسميته "كتاب" كونه مدوناً بالأقلام، فكلتا التسميتين من تسمية شيء بالمعنى الواقع عليه.[1]

1-2- الإعجاز:

1-2-1: تعريفه: إعجاز "القرآن" مركب لفظي إضافي مكون من كلمتين "إعجاز" و"القرآن".[2]

وكلمة إعجاز مصدر الفعل الماضي الرباعي: نقول أعجز بعجز إعجازا، والجذر الثلاثي للكلمة هو "عجز".[3]

والعجز عند الإمام ابن فارس والراغب الأصفهاني: وهو التأخر عن الشيء فهو ضد القدرة والاستطاعة، ويطلق على كل قصور عن فعل شيء.[4]

وجاء في لسان العرب في مادة عجز: عجز يعجز عجزا فيهما، أي يعجز عن الأمر إذا قصر فيه وعاجز إلى ثقة، مال إليه، وعاجز القوم، تركوا شيئا: و أخذوا معجزات الأنبياء عليهم السلام و أعجاز الأمور أواخرها[5]، والإعجاز مصدر الفعل الرباعي "أعجز" وفيه معنى الفَوْتُ والسَّبْقُ، ويطلق على الفائز السابق لخصمه الذي جعل خصمه عاجزا عن إدراكه، ولذلك يقول الخصم

1 - قطان، مناع. مباحث في علوم القرآن، المرجع نفسه، ص: 17.

2 - بالنسبة لتعريف القرآن، فقد سبق ذكره.

3 - مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، دار الشروق الدولية، ط4، القاهرة، 1425هـ،2004م ، ص: 585.

4 - ابن فارس، مقاييس اللغة، المرجع نفسه، ص: 738، وأيضا الأصفهاني، راغب. مفردات ألفاظ القرآن،تحق :صفوان عدنان الداودي، دار القلم، ط1، دمشق، 1412 هـ ، ص: 547.

5 - ابن منظور، لسان العرب، المرجع نفسه، مادة (عجز)،ص:2816-2817.

المغلوب العاجز: أعجزني فلان إعجازا، وهذا المعنى الاصطلاحي لمصطلح "الإعجاز" متحقق في إعجاز القرآن.[1]

والخلاصة في معنى "إعجاز القرآن" هو عدم قدرة الكافرين على معارضة القرآن وقصورهم عن الإتيان بمثله، رغم توفر مَلَكتهم البيانية، وقيام الداعي على ذلك وهو استمرار تحدّيهم وتقرير عجزهم عن ذلك.[2]

1-2-3- أراء منثورة في الإعجاز القرآني:

* نرى من خلال دراساتنا لآراء أصحاب المؤلفات في الإعجاز القرآني، أنه كثير من العلماء لم يصنعوا رسائل أو كتبا في الإعجاز، ولكنهم أدلوا بآرائهم فيه ضمن بحوث أو مقالات منشورة.[3]

* وهؤلاء لم يأتوا بجديد إنما وقفوا من الآراء السابقة موقف الأرجحية والترجيح، وها نحن نسجل منا مواقفهم حسب مواقفتهم على رأي منها ورفضهم ضمنا الأخر.[4]

- **أولا: النظم والتأليف:** أيد هذا الاتجاه القائل بأن الإعجاز كائن في النظم والتأليف كثير من العلماء قديما وحديثا منهم الأصفهاني، والرملكاني والقاضي العياض. فقد تحدث الأصفهاني عن

1 - محمد، سامي. حريز، هشام. نظرات من الإعجاز البياني في القرآن الكريم، ، دار الشروق،(دط)، عمان 2005م، ص: 23.

2 - الخالدي، صلاح عبد الفتاح. إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، دار عمار، ط1، عمّان-الأردن، 1421هـ،2000م، ص: 15-17، وقد توسع في هذا الموضوع: عباس، فضل. إعجاز القرآن الكريم، ص: 10-28.

3 - المطعني، عبد العظيم إبراهيم. خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، مكتبة وهبة، ط1، القاهرة، 1413هـ، 1992م، ج:1،ص: 175.

4 - المرجع نفسه، ص: 176.

مراتب تأليف الكلام ثم قال: فظهر من هذا أن الإعجاز المختص بالقرآن متعلق بالنظم المخصوص، وبيان كون النظم معجزا يتوقف على بيان نظم الكلام ثم بيان أن نظم هدا الكلام مخالف لنظم ما عداه".[1]

* ويفرق الأصفهاني بين النظم المخصوص الذي هو صورة القرآن واللفظ المعنى الذي هو أثره وعنصره، باختلاف الصورة يختلف حكم الشيء لا بعنصره كالخاتم والقرط والسوار، فانه باختلاف صورها اختلفت أسماؤها لا بعنصرها الذي هو الذهب أو الفضة.[2]

* والقرآن عنده جامع لمحاسن جميع فنون الكلام، على نظم ليس مثل نظومهم، كما نقل السيوطي عن الزملكاني قوله:"وجه الإعجاز راجع إلى التأليف بأن اعتدلت مفرداته تركيبا وزنه".[3]

ثانيا: البلاغة والفصاحة: يتشكك كثير من الباحثين قديما وحديثا أن تكون البلاغة والفصاحة من وجوه الإعجاز في القرآن، مع اعترافهم بأن كلا منها يؤدي دورا هاما في سمو الأسلوب ووضوح المعنى.[4]

من هؤلاء أبو بكر الباقلاني، وعبد القاهر الجرجاني من الأقدمين وفريد وجدى من المحدثين وسبب هذا الحكم –كما سبق- أن هذه الفنون يمكن التعامل لها والاحتيال عليها، وما كان ممكننا أن يتعلم ويحذق بالصنعة، فلا يكون وجها من وجوه الإعجاز.

1 - السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن. الإتقان في علوم القرآن، مجمع الملك فهد، (دط)، (دب)، 1426هـ، ج:2:، ص: 22.

2 - المرجع نفسه ، ص:23.

3 - المرجع نفسه، ص: 119.

4 - المطعني، عبد العظيم إبراهيم. خصائص التعبير القرآني و سماته البلاغية، المرجع نفسه،ص: 177-178.

وعلى العكس من هذا، فإن فريقا آخر قد اعتبر البلاغة والفصاحة وجها من وجوه الإعجاز ومن هؤلاء القاضي عبد الجبار المعتزلي وفخر الدين الرازي، وحازم، والمراكشي.

قال الرازي: ووجه الإعجاز الفصاحة وغرابة الأسلوب والسلامة من العيوب".[1]

ويقول حازم:[2] "وجه الإعجاز في القرآن حيث استمرت الفصاحة والبلاغة في جميعه، استمرار لا يوجد له فترة، ولا يقدر عليه أحد".

ويقول المراكشي: "أن الإعجاز حاصل ببلاغة القرآن وروعة نظمه ليس إعجازه بمفرداته ولا بمجرد تأليفه، ولا بحركات إعرابه ولا بصرف العرب عنه".[3]

* هذان رأيان متقابلان والصحيح الذي يمكن قبوله أن المسالة وسط بين الفريقين، فلا يمكن عزل البلاغة والفصاحة عن وجوه الإعجاز، ولا يمكن كذلك جعل الإعجاز كله راجعا إليهما.

بل هما -أي الفصاحة والبلاغة– عاملان من عوامل الإعجاز وليستا أوحدتين فيه لأن المختار أن الإعجاز راجع إلى النظم والتأليف، والفصاحة والبلاغة من أهم سمات النظم البليغ والتأليف المحكم.

1 - السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن. الإتقان في علوم القرآن ، المرجع نفسه، ج:2، ص: 119. والزركشي، بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، دار التراث، (دط)، (دب)، (دت)، ص 98.

2 - السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن. المرجع نفسه، ص: 119، وحازم: هو أبو الحسن حازم بن محمد القرطاجني.

3 - المرجع نفسه، ص: 4.

1-3- لغة القرآن وألفاظه:

1-3-1- لغة القرآن:

لغة القرآن أصلها لغة قريش، لأن النبي ولد فيها وبعث منها، ولأن لغتها تفضل عن سائر اللغات بحلاوة الجرس وبدقة الوضع وإحكام النظم، وقبيلتها تشرف سائر القبائل بجوار البيت وسقاية الحاج وعمارة المسجد، ولكنه نزل كذلك بلغة بني سعد بن بكر، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم استعرض فيهم وهي إحدى لغات العجز من هوازن وأفصحها لقوله صلى الله عليه وسلم: "أنا أفصح العرب بيد أني من قريش وإني نشأت في بني سعد بن بكر".[1]

1-3-2- ألفاظ القرآن:

لألفاظ القرآن جانب كبير في سموه فوق أنماط التعبير الأخرى، وتقوم هذه الألفاظ القرآنية على اعتبارات لم تتحقق لغيرها، لذلك فإن النظر فيها لم يقتصر على جانب واحد بل يجد الباحث المجال فسيحا أمامه حين يعمد إلى دراسة ألفاظ القرآن[2]، وفي ألفاظ القرآن اصطلح العلماء على تسميتها بالغرائب وليس المراد بغربتها أنها منكرة أو نافرة أو شاذة، فإن القرآن منزه عن هذا جميعه، وإنما اللفظة الغريبة ها هنا هي التي تكون حسنة مستغربة في التأويل بحيث لا يتساوى في

1 - الزيات، أحمد حسن. تاريخ الأدب العربي، ط:1،(دب)، 2006م، ص: 94.

2 - المطعني، عبد العظيم إبراهيم. خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، المرجع نفسه، ص: 245.

العلم بها أهلها وسائر الناس[1]، لذلك فإننا نحدد منذ الآن الجوانب التي سندرسها في هذا البحث الذي خصصناه لدراسة اللفظ القرآني وتلك الظواهر يمكن إجمالها في الأتي:

- § روعة اللفظ في نفسه.
- § إصابته المقتل في الدلالة على معناه.
- § خاصيته التعبيرية في القرآن.[2]

أ – روعة اللفظ القرآني في نفسه:

القرآن يتأنق في اختيار الألفاظ ويستخدم كلاما حيث يؤدي معناه في دقة فائقة تكاد تؤمن معها بأن هذا المكان إنما خلقت له هذه اللفظة دون سواها، ولذلك لا تجد في القرآن ترادفا بل كل كلمة تحمل إليك معنى جديد.[3]

فالألفاظ فيه قوية عنيفة في مقام التهديد والوعيد، رقيقة عذبة في مجال الترغيب والتهذيب، وهادئة حسنة في مقام التشريع والتفريع[4]. و لهذا فإنك لا تجد في القرآن كلمة معيبة من حيث الصورة والاستعمال، وسلامة اللفظ القرآني من العيوب تعني بها أن الألفاظ في القرآن مختارة منتقاة لم يأت لفظ فيه حيثما اتفق، بل تدبير حكيم عليم، وإلى جانب انتقاء اللفظ القرآني من حيث

1 - الرافعي، مصطفى صادق. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، ط:9، بيروت، 1393هـ،1973م، ص: 58.

2 - المطعني، عبد العظيم إبراهيم، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، المرجع نفسه، ص: 245.

3 - المرجع نفسه، ص: 245.

4 - أحمد بدوي، أحمد. من بلاغة القرآن،دار النهضة، (دط)،مصر، 2005م، ص: 47،ينظر.

صورة اللفظ نفسه، حروفه وحركاته وسكناته، فإن القرآن يُؤْثِر استخدام الألفاظ القصار الثلاثية الأصول أو الرباعية الأصول، والثلاثية الأصول فيه أوفر عددا من الرباعية.[1]

أما أن اللفظة خماسية الأصول فهذا لم يرد منه في القرآن شيء، لأنه مما لا وجه للعذوبة فيه إلا ما كان من اسم عُرِّب و لم يكن في الأصول عربيا، كإبراهيم..إسماعيل.. وطالوت .. وجالوت.. ونحوها، ولا يجئ فيه كذلك إلا أن يتخلله المد كما ترى، فتخرج الكلمة وكأنها كلمتان".[2]

وتحقيقا لهذه الصفة -انتقاء الألفاظ وعذوبتها في القرآن- فإن القرآن يعمد إلى تهذيب ما قد يعاب من اللفظ إذا دعا بلاغي لوروده فيه، ولهذا فإنك ترى في القرآن كلمات يشهد الذوق بحسنها، لأنها هُذبت و وُضعت وضعا محكما فيه، بينما تراها في غيره معيبة شاذة....وذلك بشهادة النقاد أنفسهم.

ب- ألفاظ حسنت في القرآن وعيبت في غيره:

من ذلك كلمة "مقاعد" فقد عابها النقاد في شعر الشريف الرضي حيث قال:[3]

أعزز علي بأن أراك وقد خلت *** من جانبيك مقاعد العواد.

1 - المطعني، عبد العظيم إبراهيم، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، المرجع نفسه، ص: 246.

2 - الرافعي، مصطفى صادق. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، المرجع نفسه، ص: 26.

3 - المطعني،عبد العظيم إبراهيم. المرجع نفسه، ص: 246.

*قال ابن سنان الخفاجي ينقد: "فإيراد –مقاعد– في هذا البيت صحيح، إلا أنه موافق لما يكره ذكره في مثل هذا الشأن –لاسيما وقد أضافه إلى من يحتمل إضافته إليهم –وهم العواد– ولو انفرد لكان الأمر فيه سهلا، فأما إضافته إلى ما ذكره ففيها قبح لا خفاء فيه".[1]

ونقد ابن سنان لهذه الكلمة وجيه، لا أظن أحدا يخالفه فيه أن المقام يقتضي العدول عن مثل هذه الكلمة جريا مع الذوق وصحة المعنى، وهذا الأساس الذي بنى عليه الخفاجي نقده هو أن الكلمة يشترط في فصاحتها –عنده– ألا يسبق التعبير بها من معنى يكره ذكره وقد حكم بسلب الفصاحة عن كثير من الكلمات نزولا على هذا الاعتبار.[2]

وقد وردت هذه الكلمة –مقاعد- في القرآن الكريم عذبة رشيقة، وذلك في مواضيع منها: "وإنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع"[3]، "وقوله: "وإذا غدوت من أهلك تبوّء المؤمنين مقاعد للقتال".[4]

-فالمقاعد هنا– في الموضعين بمعنى المنازل –ولا يمكن أن يفهم المعنى الذي من أجله كره النقاد استعمال هذه الكلمة، لأنها لم تضف إلى ما يمكن من إضافتها إليه ذلك المعنى المستكره.....وذلك سر الجمال في هذين الموضعين.

1 - الخفاجي، ابن سنان. سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، (دت)، ص: 75-76.
2 - سورة الجن، الآية 9.
3 - سورة آل عمران، الآية121.
4 - الخفاجي، ابن سنان. المرجع نفسه، ص: 76.

1-4- أسلوب القرآن الكريم:

1-4-1- مفهوم الأسلوب:

لقد اتفق العلماء على أن الأسلوب هو: الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه واختيار ألفاظه، أو هو: المذهب الكلامي الذي انفرد به المتكلم في تأدية معانيه ومقاصده من كلامه، أو هو: طابع الكلام، أو هو: من الكلام الذي انفرد به المتكلم.[1]

نستخلص من خلال هذا أن الأسلوب في اللغة تطلق عليه اطلاقات مختلفة، فيقال للطريق بين الأشجار وللفن وللوجه وللمذهب وللشموخ بالأنف ولعنق الأسد، ويقال لطريقة المتكلم في كلامه أيضا وأنسب هذه المعاني بالاصطلاح الأتي هو المعنى الأخير أو هو المعنى الأخير أو هو الفن أو المذهب. [2]

* **الأسلوب في الاصطلاح:** تواضع المتأدبون و علماء العربية على أن الأسلوب هو الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه و اختيار ألفاظه.[3]

1-4-2 مفهوم أسلوب القرآن:

أسلوب القرآن الكريم هو طريقته التي انفرد بها في تأليف كلامه واختيار ألفاظه[4]، و لا غرابة أن يكون للقران الكريم أسلوب خاص به، فإن لكل كلام إلهي أو بشري أسلوب خاص،

1 - الزرقاني، محمد عبد العظيم. مناهل العرفان في علوم القرآن، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط1، الرياض، 1996م، ج:2، ص: 241.

2 - الشيخ بن الحسين، سفيان. القرآن الكريم بين علومه وإعجازه، (دط)، قسنطينة، (دت)، ص: 150.

3 - المرجع نفسه، ص:150.

4 - المرجع نفسه، ص: 150.

وأساليب المتكلمين وطرائقهم في عرض كلامهم من شعر أو نثر تتعدد بتعدد أشخاصهم، بل تتعدد في الشخص الواحد بتعدد الموضوعات التي يتناولها والفنون التي يعالجها.[1]

ونود أن نلفت النظر إلى أن "الأسلوب" شيء و"المفردات" و"التراكيب" التي يتألف منها الكلام شيء أخر.

فالأسلوب هو: الطريقة التي ينتهجها المؤلف في اختيار مفرداته وتراكيبه، وهذا هو السر في أن الأساليب مختلفة باختلاف المتكلمين من ناثرين وناظمين، مع أن المفردات التي يستخدمها الجميع واحدة، والتراكيب في جملة واحدة، وقواعد صوغ المفردات والجمل و تكوين الجمل واحدة أيضا ، هو السر في أن القرآن الكريم لم يخرج من معهود العرب في لغتهم العربية من حيث المفردات و الجمل و قوانينها العامة و مع ذلك فقد أعجزهم بأسلوبه الفذّ، و مذهبه الكلامي المعجز عن أن يأتوا بمثله. [2]

إذن أسلوب القرآن الكريم أسلوب يتّسم بالفخامة والقوة والجلال، يكتسبها من انتقاء ألفاظ لا امتهان فيها ولا ابتذال، ومن استخدام ألوان التوكيد والتكرير، تشعر بهذه الفخامة في كل ما تناوله القرآن من الأغراض، واستمع إليه يصف جنة الخلد قائلا[3]: " إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا [10] فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا [11] وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا [12] مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا [13] وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ

1 - الشيخ بن الحسن، سفيان. القرآن الكريم بن علومه وإعجازه، المرجع نفسه، ص: 150.

2 - الزرقاني، محمد عبد العظيم. مناهل العرفان في علوم القرآن، المرجع نفسه، ص: 241.

3 - أحمد بدوي، أحمد. من بلاغة القرآن، المرجع نفسه، ص: 186.

ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا [14] وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا [15] قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا [16] وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا [17] عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا [18] وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا [19] وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا [20] عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا [21] إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا [22]".[1]

وهكذا يكتسب الأسلوب القرآني قوته من اختيار اللفظ ومسيقته.[2]

1-4- 3- خصائص أسلوب القرآن الكريم:

رغم اجتهادات العلماء، وإفاضتهم فيها فلم يقدموا إلينا إلا قِلة من كثرة، وقطرة من بحر، معترفين بأنهم عجزوا عن الوفاء.

ولنذكر شيء من خصائص أسلوب القرآن على وجه التمثيل:

إن لكل مقام مقال ومراعاة مقتضى الحال من أخص معاني البلاغة، وخصائص الأسلوب القرآني –مكي ومدني- تعطي الدارس منهجا لطرائق الخطاب في الدعوة إلى الله، بما يلائم نفسية المخاطب ولكل مرحلة من مراحل الدعوة موضوعاتها، وأساليب الخطاب فيها، كما يختلف الخطاب باختلاف أنماط الناس ومعتقداتهم وأحوال بيئتهم، ويبدو هذا واضحا وجليا بأساليب مختلفة للقرآن في مخاطبة المؤمنين والمشركين والمنافقين وأهل الكتاب.[3]

1 - سورة الإنسان، الآيات 10-22.

2 - أحمد بدوي، أحمد. من بلاغة القرآن، المرجع نفسه، ص: 186.

3 - قطان ، مناع. مباحث في علوم القرآن، المرجع نفسه، ص: 46. (ينظر).

وقد أفاض د.محمد بكر إسماعيل في بيان خصائص الأسلوب القرآني البليغ، وكان مما ذكره من هذه الخصائص ما يلي:

1 - جمال التعبير: اصطفى الله من ألفاظ اللغة العربية أفصحها وأيسرها على اللسان وأسهلها على الإفهام، وأمتعها للآذان وأقواها تأثيرا على القلوب، وأوفاها تأدية للمعاني، ثم ركبها تركيبا محكم البنيان، لا يدانيه في نسيجه كلام من البشر من قريب ولا من بعيد[1]، وذلك لما يكمن في ألفاظه من الإيحاءات التي تعبر إلى خلجات النفس.[2]

وتقتحهم شفاف القلوب، وما يكون في تركيبه من ألفة عجيبة وانسجام وثيق بين هذه الألفاظ مهما تقاربت مخارج حروفها أو تباعدت.

أما الخاصية الثانية للقرآن الكريم وأسلوبه هي إرضاؤه العامة والخاصة، ومعنى هذا أن القرآن الكريم إذا قرأته على العامة أو قرئ عليهم، أحسوا جلاله، و ذاقوا حلاوته وفهموا منه على قدر استعدادهم ما يرضي عقولهم وعواطفهم وكذلك الخاصة إذا قرؤوه، أو قرئ أحسوا جلاله وذاقوا حلاوته وفهموا أكثر مما يفهم العامة.[3]

وإرضاؤه العقل والعاطفة معنى هذا أن أسلوب القرآن يخاطب العقل والقلب معا، ويجمع الحق والجمال معا، أنظر إليه مثلا وهو في معنيان الاستدلال العقلي على البعث والإعادة في

1 - الشيخ بن الحسين، سفيان. القرآن الكريم بين علومه وإعجازه، المرجع نفسه، ص: 152. (ينظر).

2 - خلجات النفس : بواطنها

3 - الشيخ بن الحسين، سفيان. المرجع نفسه، ص: 153.

مواجهة منكريها، كيف يسوق استدلاله سوقا يهز القلوب هزا، ويمتع العاطفة إمتاعا، [1]كما جاء في سورة فصلت: "ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذي أحياها لمحيي الموتى إنه على كل شيء قدير"[2] ، فإذا تأملت في الأسلوب البارع تجده يقنع العقل ويمتع العاطفة في آن واحد

والخاصية الثالثة التي يصف بها أسلوب القرآن الكريم هو جودة سبك القرآن وإحكام سرده، .[3]ومعنى هذا أن القرآن الكريم بلغ من ترابط أجزائه وتماسك كلماته وجمله وآياته وسوره مبلغا لا يدانيه فيه أي كلام آخر، مع طول نفسه وتنوع مقاصده و افتنانه في الموضوع الواحد.

- براعته في تصريف القول، وثروته في أفانين الكلام، ومعنى هذا أنه يورد المعنى الواحد بألفاظ وبطرق مختلفة، بمقدرة فائقة خارقة، تنقطع في حلبتها أنفاس الموهوبين من الفصحاء والبلغاء.[4]

كما جمع القرآن بين الجمال والبيان، مع أنهما غايتان متقابلتان لا يجتمعان في كلام واحد الناس، بل كل منهم إما مجمل وإما مبين، لأن الكلمة إما واضحة المعنى فتحتاج إلى بيان، وإما خفية المعنى تحتاج إلى بيان ولكن القرآن هو وحده الذي انخرقت له العادة، فتسمع منه الجملة وإذا هي بنية مجملة في آن واحد.[5]

1 - الشيخ بن الحسين ،سفيان.القرآن الكريم بين علومه وإعجازه،المرجع نفسه،ص:153.

[2] -سورة فصلت،الآية 38.

3 - الشيخ بن الحسين، سفيان. المرجع نفسه،ص:153.

4 - محمد بكر، إسماعيل. دراسات في علوم القرآن، دار المنار، ط1، القاهرة، 1991م، ص: 374.

5 - المرجع نفسه، ص: 375.

هناك جانب آخر يتميز به أسلوب التعبير القرآني، وهو جانب المعنى إذ نجد المعنى في القرآن متنوع وثري ثراء الألفاظ القرآنية، وهذه من أكبر خصائص الأسلوب والتعبير القرآني ويقول الجاحظ في هذا الصدد: "أنه -أي القرآن- قد يدل بالكلمة الواحدة والكلمات المختصرة على معان متعددة يطول شرحها، وإذا أراد المتكلم العادي التعبير عن المعاني التي أرادها القرآن لم يصل إلى بغيته إلا بلفظ أطول وأقل دلالة".[1]

فالقرآن ينتقي من الألفاظ جوامعها وأغناها بالدلالة، ويختار من أدوات التعبير ما يعطيك من المعنى ما هو دائما متجدد متدفق بحيث يسع وجهات النظر المختلفة.[2]

"وهكذا يخيل إليك أنك قد أحطت خبرا به، ووقفت على معناه محدودا، و لو رجعت إليه كرة أخرى لرأيتك منه بإزاء معنى جديد، غير ذلك الذي سبق إلى فهمك أول مرة، و كذلك حتى ترى للفظة الواحدة أو الكلمة الواحدة وجوها عدة، كلها صحيح أو محتمل للصحة وكأنما هي فَصٌّ من الماس يعطيك كل ضلع فيه شعاعا، فإذا نظرت إلى أضلاعه جملة بهرتك بألوان الطيف كلها فلا ترى ما تأخذ عينيك وماذا تدع".[3]

2- البلاغة:

يعد علم البلاغة واحدا من تلك العلوم الشريفة التي ولدت في أحضان كتب "إعجاز القرآن" وتربى على أيدي علماء أجلاء، عكفوا في إحاطة كتاب الله بقلوبهم وعيونهم وأراوحهم، وبرعوا

1 - الجاحظ. البيان والتبيين، تحق: فوزي عطوي، دار الكتب، (دط)، بيروت، ج:1، ص: 94 .
2 - المطعني، عبد العظيم إبراهيم. خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، المرجع نفسه، ص: 367.
3 - دراز، محمد عبد الله. النبأ العظيم، ط1، القاهرة ، 1969 م، ص: 111-112.

في فهم كتاب الله من آياته ونصوصه الأدبية الرائعة، وهذا العلم الذي نسعى إلى تعريفه و دراسته اقترانا بالقرآن الكريم الذي هو "البلاغة"، فهذه الدراسة ليست مقترنة وقاصرة على الأمة العربية، دون سواها من الأمم وإنما هي قاسم مشترك بين سائر الأمم وشعوب الدنيا.

2-1- تعريف البلاغة:

2-1-1- لغة: جاء في لسان العرب في مادة "بلغ" يقال بلغ الشيء يبلغ وبلاغا، وصل وانتهى، وأبلغه هو إبلاغ، وبلّغه تبليغا،وتبليغ بالشيء، وصل إلى مراده، وبلغ مبلغ فلان ومبلغته، وفي حديث الاستسقاء واجل ما أنزلت لنا قوة وبلاغا إلى حين، والبلاغ ما بلغك والبلاغ الكفاية، وفي التنزيل "إلا بلاغا من الله ورسالته"، والبلاغة الفصاحة، والبليغ من الرجال حسن الكلام.[1]

وفي مقاييس اللغة في باب الباء مادة (بلغ) الباب واللام والغين أصل واحد وهو الوصول إلى الشيء، تقول بلغت المكان إذا وصلت إليه، وقد تسمى المشارفة بلوغا بحق المقاربة، قال تعالى: "فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف".[2]

إذن تدل الدراسة المعجمية لمصطلح البلاغة على الوصول والانتهاء وتحقيق الهدف والغاية، فهي كل ما وصل إليه الإنسان في تبليغ ما في خلجات نفسه من تعابير وأحاسيس.

2-1-2- اصطلاحا: البلاغة في الاصطلاح هي تأدية المعنى الجليل واضحا بعبارة صحيحة فصيحة لها أثر خلاب في النفس مع ملائمة كل الكلام للموطن الذي يقال فيه الأشخاص الذين

1 - ابن منظور، لسان العرب، المرجع نفسه، مادة (بلغ)، م:1،ج:2،ص:346.

2 - ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، المرجع نفسه، باب (الباء)، مادة (البلغ)،ص:301-302.

يخاطبون[1]، وهي دراسة جمالية ذوقية، يجب أن تفيد اليوم من علم النفس وعلم الجمال وهذا التذوق الجمالي لها ينبغي أن يدخل في جملة مقاييسنا التي تقوم بها الانتاجات الأدبية والنفسية، ويعد علم المعاني هو أساس الدراسات البلاغية.[2]

وجاء في صاحب التلخيص في تعريفه للبلاغة فقال: "و البلاغة في الكلام من مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته وهو مختلف، لأن مقامات الكلام متفاوتة، فمقام التنكير والإطلاق والتقديم والذكر يباين مقام خلافه، ومقام الفصل يباين مقام الوصل فالبلاغة راجعة إلى اللفظ باعتباره إفادته المعنى بالتركيب، وكثيرا ما يسمى ذلك فصاحة أيضا".[3]

إذن البلاغة في الاصطلاح تدور مدار التعريف اللغوي لها فهي تأدية المعنى البليغ في العبارة فصيحة تصل إلى ذهن السامع دون أي قيود أو عيوب فهي رسم لمعاني الكلام رسما بليغا فصيحا يصل إلى ذهن السامع فيتمتع بسماعه.

كما ذكر علماء البلاغة تعريفات عديدة لها ولكنهم كما قال بهاء الدين السبكي لا يقصدون ذكر أوصاف البلاغة والتنويه إلى بعض ما يستحق التنويه به، ومن بينهم، عمرو بن عمر الأصمعي، أبي هلال العسكري، السكاكي، والجاحظ وغيرهم من العلماء الذين تطرقوا إلى هذا العلم.

1 - حازم، علي. أمين، مصطفى. البلاغة الواضحة، دار المعارف، (دط)، القاهرة، 1999، ص: 8.

2 - مبارك، مازن. الموجز في تاريخ البلاغة، دار الفكر، (دط)، (دب)، (دت)، ص: 9 .

3 - القزويني. التلخيص في علوم البلاغة، (تلخيص كتاب مفتاح العلوم للسكاكي)، ص: 8.

فنجد إذن عمرو بن عمر بن عبيد يعرف البلاغة بقوله: "فكأنك تريد تخيير اللفظ في حسن الإفهام" وعرفها الأصمعي بقوله: "من طبق المفصل أغناه عن المفسري".[1]

وذهب السكاكي إلى أن البلاغة هي بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حدا له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها وإيراد أنواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها.[2]

أما أبي الهلال العسكري فقد قال البلاغة هي من صفة الكلام لا من صفة المتكلم، ويقال بلغ الرجال بلاغة إذا صار بليغا[3]، ويقول الجاحظ في تعريفه البلاغة: لا يكون الكلام بمستحق البلاغة حتى يسابق معناه لفظه، فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك.[4]

2-أهم مباحث البلاغة:

قسم العلماء المتأخرون البلاغة إلى ثلاثة أقسام: علم المعاني وعلم البيان، وعلم البديع حيث يقولون:

علم المعاني يعلمنا كيف نركب الجملة العربية لنصيب بها الغرض المعنوي الذي نريد على اختلاف الظروف والأحوال.

علم البيان يعلمنا كيف نصوغ الصورة الفنية، وننوع الأسلوب لتظهر الدلالة المقصودة المرادة بوضوح.

1 - عكاوي، إنعام فوال. المعجم المفصل في علوم البلاغة، (مر) أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط 2، بيروت-لبنان، 1996، ص:260.

2 - الهاشمي، سيد أحمد. جواهر البلاغة، تحق: يوسف الصيدلي، المكتبة العصرية، ط1، بيروت، 1999م، ص: 40.

3 - طبانة، بدوي. معجم البلاغة العربية، دار المنار، ط3، (د ب)، (د ت)، باب (الباء)، ص: 77.

4 - مبارك، مازن. الموجز في تاريخ البلاغة، المرجع نفسه، ص: 15.

وعلم البديع يعلمنا كيف تؤتى الصورة في معناه ومبناها وتزخرفها، الزخرفة الحية الملائمة ليزيد المعنى بهاء و المبنى روعة.

2-2-1- علم المعاني:

يقول القزويني في تعريفه: "هو علم يعرف به أحوال اللفظ التي بها يطابق مقتضى الحال"، أو هو العلم الذي يقوم على العبارات وألفاظ على أسلوب معين، ويراعي فيه أمران هما: النحو ومطابقة الكلام لمقتضى الحال. [1]

وعرفه البلاغيون بقولهم هو علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي يطابق مقتضى الحال. [2]

المقصود من علم المعاني منحصر في ثمانية أبواب هي:

1- أحوال الإسناد الخبري.

2- أحوال المسند إليه .

3- أحوال المسند.

4- أحوال متعلقات الفعل .

5- القصر.

6- الإنشاء.

7- الفصل والوصل .

1 - بكر شيخ أمين. البلاغة في ثوبها الجديدعلم المعاني، دار الملايين، ط6، (دب)، 1999م، ج:1، ص: 49.

2 - بسيوني، عبد الفتاح. علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني، مكتبة وهبة، (دط)، القاهرة، (دت)، ج:1، ص:32.

8- الإيجاز والإطناب والمساواة .

وموضوعه دراسة خصائص التراكيب اللغوية: نوع الجملة وأنواع الكلمات التي تتركب منها، وطريقة تركيبها من حيث دلالاتها على المعنى. أما غايته: "إرشاد الكاتب أو المتكلم إلى طريقة تمكنه من جعل صورة لفظية أقرب ما تكون دلالة على الفكرة التي ترد إلى الذهن، فنحن حين نفكر في معنى نريد أن نعبر عن خبر وقع في الماضي أو الحاضر أو سيقع في المستقبل. [1]

2-2-2: علم البيان:

أ- لغة: الوضوح والظهور ويقال: بان الشيء بيانا إذا اتضح وظهر واستبان الشيء: ظهر وأنبه أي وضحته.

ب- اصطلاحا: هو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه.[2]

وكذلك هو علم يبحث في كيفية تأدية المعنى الواحد بطرق تختلف في وضوح دلالتها، وتختلف في صورتها وأشكالها و ما تتصف به من إبداع و جمال أو قبح أو ابتذال.

وانحصرت مباحث علم البيان في موضوعات منها: التشبيه، الاستعارة، المجاز، و الكناية.

ج- عناصرها: الأسلوب، المعنى، وضوح الأداء قوة التأثير وظيفته وغايته هي تنمية الذوق الفني والإدراك نسب الجمال والإبداع. [3]

1 - عاطف، فضل. البلاغة العربية، ط1، (دب)، 2006م، ص: 27.

2 - القزويني، الخطيب. الإيضاح في علوم البلاغة (علم البيان)، دار الكتب العلمية، (دط)، لبنان، (دت)، ص: 215.

3 - عاطف، فضل. المرجع نفسه، ص:29 .

فنلاحظ أن علم البيان أصبح من علوم البلاغة و لم يصر كذلك إلى بعد أن قدم البلاغيون الأوائل جهودا عظيمة لتفسير أركان هذا العلم.[1]

2-2-3: علم البديع:

أ– لغة: بدع الشيء يبدعه بدعا إذا أنشاه على غير مثال السابق وابتدعت الشيء أي اخترعته على مثال: أو يقال أبدع أي أتى بما مبتكر جديد على مثال سابق.[2]

ب– اصطلاحا: هو علم يعرف به وجود تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه لمقتضى الحال و وضوح الدلالة.[3]

وأول كتاب لعلم البديع كان سنة 214 هـ حيث يقول ابن المعتز: "ما جمع قبلي فنون البديع أحد ولا سبقني في تأليفه مؤلف"، وقد جمع ثمانية عشر نوعا من أنواع البديع وقسمها إلى قسمين:

أولهما: جمع فيه خمسة أنواع سماها باسم البديع، عالج فيه الأصول الكبرى للبديع كما يراها وهي: "الاستعارة، التجنيس، المطابقة، رد الإعجاز على ما تقدمها، المذهب الكلامي".

ثانيهما: أطلق عليه محاسن الكلام وهي: الالتفات، الاعتراض، الرجوع، حسن الخروج من المعنى إلى المعنى، تأكيد المدح بما يشبه الذم، تجاهل العارف وهو ما أسماه المتأخرون، هزل يراد به الجد، حسن التضمين، التعريض والكناية.[4]

---

1 - محمد هدارة، مصطفى. البلاغة العربية، دار العلوم العربية، ط1، بيروت-لبنان، 1409هـ،1989م، ص: 11.

2 - أبو ستيت، محمد الشحات. دراسات منهجية في علم البديع، جامعة الأزهر، ط1،(دب)، 1994م، ص: 7.

3 - جميل، عبد المجيد. البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، دار الكتب العلمية، الهيئة المصرية للكتاب، (دط) ، (دب)، 1997م، ص: 13

4 - المرجع نفسه، ص: 14.

2-3- الغرض من دراسة علوم البلاغة:

البلاغة بفنونها الثلاثة "المعاني، البيان، البديع" وسائر الفنون الأدبية التي نبه عليها أدباء العرب، وكذلك سائر المذاهب الأدبية المستوردة من الشعوب غير العربية، ليست إلا بحوثا وتتبعات لاكتشاف عناصر الجمال الأدبي في كلام ومحاولات لتحديد معالمها، ووضع بعض قواعدها دون أن تتطلع كل هذه البحوث والدراسات جمع كل عناصر الجمال الأدبي في الكلام واستقصائها، واكتشاف كل وجوهها.

والغرض من عرض الباحثين وفنون البلاغة وعلومها وللمذاهب الأدبية المختلفة، وللأمثلة الأدبية الراقية، المقرونة بالتحليل الأدبي والبلاغي، تربية القدرة على إحساس بعناصر الجمال الأدبي في الكلام الأدبي الرفيع وتربية القدرة على الإحساس بعناصر الجمال وقدرة على فهم النصوص الجميلة الراقية، والقدرة على محاكاة بعضها في إنشاء الكلام، والقدرة على الإبداع والابتكار لدى الذين يملكون في فطرتهم الاستعداد من ذلك ...[1]

وكذلك الناظر في هذه العلوم والمحصل لملكتها يعرف إعجاز القرآن الكريم معرفة يقينية، فيكون مؤمنا ببيانه.

والمتمكن في أصولها وأحكامها يلمس بنفسه دقائق العربية وأسرارها ويدرك مراتب الكمال ومزايا صوره شعرا ونثرا، وبعبارة أخرى يسير ناقدا وواعيا.

1 - حبنكة، عبد الرحمن حسن. البلاغة العربية، دار النشر، ط1، لبنان، (دت)، ص: 31.

إن الدارس لها خبير بضوابطها وقوانينها إذا أراد أن يقول شعرا أو نثرا في أي غرض يستطيع أن يجد من أمره رشدا فيصيب الهدف، ويدرك القصد، ويأتي بما يطابق الحال من الألفاظ والتراكيب ويهتدي إلى المستجاد من الكلام، والمختار من القول الآن معه مصباحه الذي يستضيء به ويسير به على هديه، وبعبارة أخرى يصير أديبا مبدعا.[1]

2-4: أهمية علم البلاغة:

لا يشك أحد أن علوم اللغة كلها من الأدوات المهمة لفهم كلام الله تعالى، فالمعاجم تكتشف معاني الكلمات أو الصرف يبحث بنية الكلمة و النحو يبين صحة الكلام، ويوضح علاقة الكلمات ببعضها والبلاغة تستثمر ذلك كله لتكشف عن إعجاز القرآن البياني، يقول ابن عاشور: "أن القرآن كلام عربي، فكانت قواعد العربية طريقا لفهم معانيه، وبدون ذلك يقع الغلط وسوء الفهم، لمن ليس بعربي بالسليقة ونعني بقواعد العربية مجموع علوم اللسان العربية وهي: متن اللغة والتصريف والنحو والمعاني، والبيان، ومن وراء ذلك استعمال العرب المتبع من أساليبهم في خطبهم وأشعارهم وتراكيب بلغائهم.[2]

البلاغة هي أوسع تلك العلوم في هذا المجال لأنها علم يهتم "بمعنى المادة في الكلمة المفردة وبمعنى صيغتها وبالمعاني التي تنشأ من حركات تركيب الكلمات ومواقع الكلمات في الجمل، وبالمعاني التي تتأثر دلالة ألفاظها بالسياق، وبكيفية دلالتها من حقيقة ومجاز كناية وتعريض،

1 - قلقيلة، عبد العزيز. البلاغة الاصطلاحية، دار الفكر العربي، ط3، (دب)، 1992م، ص: 20.

2 - ابن عاشور، الطاهر. تحليل السديد وتنوير العقل الجديد وتفسير الكتاب المجيد، دار سحنون للنشر والتوزيع، (دط)، تونس، 1997 م، ج:1، ص: 18 .

وتنظيم للكلام على ما يقتضيه العقل، و بأثر أصوات الحروف في نفس السامع وبالجملة، فعلم البلاغة يهتم بكل ما يبلغ به المتكلم قلبه المعنى السامع بالمعنى المراد إقناعا وتأثرا بحيث يوافق ما تقتضيه حال المخاطب ولذلك عرف بأنه مطابقة الكلام الفصيح لمقتضى الحال.[1]

وقد نشأ علم البلاغة في أحضان النصوص الرفيعة، وهدفه الكشف عن جماليات النص، وإبراز مدلولاته، وذلك من خلال أدوات محددة ومنهج واضح، لهذا لا تكاد تجد مبحثا في البلاغة إلا ويعتني بإبراز الأسرار البلاغية للنص المستشهد به، وإذا كان هذا النص من القرآن فلنا أن نتخيل قدر الدقة في إبراز المعاني القرآنية من خلال أدوات البلاغة المعروفة.

وعلى هذا يمكننا القول: إن تحليل النصوص القرآنية من خلال الأدوات البلاغية يعد تطبيقا واقعيا لاستثمار البلاغة في خدمة النص القرآني بشكل عام، والتدبر بوجه خاص، يتحدث الجصاص عن طائفة الدلالات والمعاني في قوله تعالى: "و لكم في القصاص حياة" البقرة 179، ثم يقول بعدها: "فهذا وأشباهه مما يظهر به للمتأمل إبانة القرآن من جهة البلاغة والإعجاز من كلام البشر، إذ ليس يوجد في كلام الفصحاء من جمع المعاني الكثيرة في الألفاظ اليسيرة مثلما يوجد في كلام الله تعالى.[2]

1 - محمد أحمد زين، أثر علم البلاغة عن تفسير القرآن الكريم، (مقال من الموقع):
http://www.dhifaaf.com/vb/showthread.php.?f=6103

2 - الجصاص، أحمد بن علي أبو بكر الرازي، أحكام القرآن، تحق: محمد مارق، القمحاوي. دار إحياء التراث العربي، بيروت، (دط)، 1405هـ، ج:1، ص: 97.

وهذا يدل عل أن ما استخرج من معاني ودلالات وكان من صميم بلاغة القرآن، و أن السبيل إليه هو التأمل فيه من خلال البلاغة نفسها، فالبلاغة أداة وهدف، فاستخدام أدوات البلاغة للكشف عن المعاني هو الأداة واستخراج المعاني والأسرار هو الهدف.

وهناك جانب آخر هو الأسرار البلاغية لكل مبحث بلاغي، فهي تبرز في البلاغة الهدف الحقيقي لهذا العلم، فليست التقسيمات هي الهدف وليس المهم هو أن التعمق في المصطلحات، بل المهم وهو تسخير هذا الفن بذكاء لخدمة المعنى القرآني العظيم، وتأكيده والإقناع به، فإن قول المفسر: "نستفيد من هذه الآية كذا وكذا" لا يكون مقنعا ما لم يدعمه بدليل لفظي وسياقي يتضح به المعنى، وتنجلي به الصورة.

ومن خلال التجربة العلمية نجد اهتماما كبيرا من خاصة الناس وعامتهم بهذا اللون من التفسير، رغم عدم إدراكهم لأسرار علم البلاغة وتقسيماتها، وليس المهم هو التعمق في المصطلحات، بل المهم هو تسخير هذا الفن بذكاء لخدمة المعنى القرآني، وجعله مؤثرا في القلوب.[1]

2-5- علاقة البلاغة بالقرآن:

علاقة البلاغة بالقرآن لا تحتاج إلى برهان، ويمكننا بيان ذلك من خلال ما يأتي: منشأ علم البلاغة، والتفسير والإعجاز والتحدي، والتدبر.

1 - محمود أحمد زين، أثر علم البلاغة في تفسير القرآن الكريم، (مقال من موقع): http://www.dhifaaf.com

1- منشأ علم البلاغة: يؤكد تاريخ هذا العلم أنه أول ما نشأ لهدفين رئيسيين، ديني وفني، وكان الهدف الديني هو الأهم، وتمثل في الدفاع عن القرآن والسعي لبيان أوجه الإعجاز البياني فيه، كما تمثل في الحاجة لمفهم معانيه وأسراره خصوصا بعد فشوّ اللحن وضعف السليقة العربية.[1]

ولهذا تخصصت كتب كاملة لخدمة غرض الإعجاز، مثل: النكت في إعجاز القرآن للرماني، وإعجاز القرآن للباقلاني، وغيرها، كما ظهرت كتب اعتنت بالمعاني وأساليب القرآن، مثل مجاز القرآن لأبي عبيدة، وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، ثم ظهرت كتب لخدمة تفسير القرآن من خلال التطبيق الواسع لألوان البلاغة، وعلى رأسها تفسير الكشاف للزمخشري الذي سارت به الركبان بغض النظر عن منهجه.

ومن التفاسير المتأخرة التي لا يستغني عنها باحث، في البلاغة ولا في التفسير، تفسير التحرير التنوير للعلامة الطاهر ابن عاشور، الذي نص على اهتمامه بقضايا البلاغة، فقال: "وقد اهتممت في تفسيري هذا ببيان تناسب اتصال الآي بعضها ببعض".[2]

وليس بغريب أن تنشأ البلاغة وتنمو في أحضان المحيط القرآني، وأن تكون من أوائل علوم الآلة التي ارتبطت بالقرآن، ذلك لأن البيان القرآني هو المعجزة الأظهر في أمة العرب، بوصفهم سادة البيان وأرباب الفصاحة، وبيان أوجه ذلك البيان وعظم تأثيره مهمة قامت بها البلاغة خير قيام.

1 - طبانة، بدوي. البيان العربي، دار المنار، ط7، جدة، الرفاعي ، 1408 هـ، 1988م، ص: 27.

2 - ابن عاشور، الطاهر. التحرير والتنوير، المرجع نفسه، ج:1، ص: 8.

2- التفسير: لا ينفك المفسر عن حاجته لعلوم اللغة عموما، بل شرط مهم فيه، وقد قال ابن عباس –رضي الله عنهما-: "إذا تعاجم شيء من القرآن فانظروا في الشعر فإن الشعر عربي"[1]، ولا يمكن لجاهل بلغة العرب أن يفهم المراد كما ينبغي، أو يمتلك القدرة على إيضاح المعنى من النص القرآني، بل ذلك سيوقعه في الخطأ و قد عظّم أهل العلم هذا الأمر حتى قيل: "من لم يكن عالما بلغات العرب لا يحل له التفسير كما قاله مجاهد، وينكر كما قاله مالك، وهذا مما لا شبهة فيه..."[2].

وقد أشار بعض المفسرين إلى ترتيب علوم العربية التي يحتاجها المفسر، يقول الألوسي: "فأما ما يحتاجه التفسير فأمور، الأول علم اللغة لأن به يعرف شرح مفردات الألفاظ ومعلولاتها بحسب الوضع ولا يكفي اليسير، والثاني معرفة الأحكام التي للكلم العربية من جهة إفرادها وتركيبها ويؤخذ ذلك من علم النحو... والثالث علم المعاني والبيان والبديع، " وهو الركن الأقوم واللازم والأعظم في هذا الشأن كما لا يخفى ذلك على من ذاق طعم العلوم ولو بطرف اللسان.[3]

وكأن الألوسي يشير هنا إلى أنواع علوم العربية بحسب غرض المفسر، و أشاد كما لا يخفى بعلم البلاغة إشادة واضحة.

والأصل في التفسير هو كشف المعاني من خلال إيضاح مدلول ما غمض من الألفاظ، وذلك هو مدلول فَسَّرَ في اللغة، حيث يقول ابن فارس: "الفاء والسين والراء كلمة واحدة تدل على بيان

1 - الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير. جامع البيان في تأويل القرآن، تحق: أحمد محمد شاكر،(دط)، (دب)، (دت) ،ج: 18، ص: 690.

2 - الألوسي، البغدادي. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، (دط) ، بيروت، (دت)، ج:1، ص:5.

3 - المرجع نفسه، ج:1، ص: 15.

شيء، وإيضاحه، من ذلك الفسر، يقال فسرت الشيء وفسرته[1]، ويقول ابن عاشور: " والتفسير في الاصطلاح فقول: هو اسم للعلم الباحث عن بيان معاني ألفاظ القرآن وما يستفاد منها باختصار أو توسع. [2]

والمعين للمفسر في هذه المرحلة هو المعجم، وما أُثر عن العرب، أما عند التعمق في المعاني وبيان أسرار الدلالات اللطيفة فلا بد من علم البلاغة وهذا هو اللائق بعظمة القرآن وإعجازه.

ولهذا لا تكاد نجد مفسرا وإلا ويشيد بعلم البلاغة على وجه الخصوص، إما لكون القرآن هو ميدانها الأرحب وتطبيقها الأكمل كما يقول ابن كثير: "وأما القرآن فجميعه فصيح في غاية نهايات البلاغة عند من يعرف ذلك تفصيلا وإجمالا، ممن فهم كلام العرب وتصاريف التعبير فإنه إذا تأملت اختباره وجدتها في غاية الحلاوة سواء كانت مبسوطة أو وجيزة، وسواء تكررت أم لا وكلما تكرر حلا وعلا لا يخلق عن كثرة الرد ولا يمل منه العلماء. [3]

3- الإعجاز: وأما الإعجاز فقد أفردت له كتب كما ذكرنا، وكان الإعجاز البياني من أهم ما عنيت به، وذلك لأن معجزة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هي القرآن، كما جاء في الحديث، قال رسول الله: "ما من نبي من الأنبياء إلا أعطى ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان

1 - ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، المرجع نفسه، مادة (ف.س.ر)، ج:4، ص: 504.

2 -ابن عاشور، الطاهر. التحرير والتنوير، المرجع نفسه، ج:1، ص: 11.

3 - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحق: سامي بن محمد سلامة، دار إحياء الكتب العلمية، (دط)، (دب)، (دت)، ج:1، ص: 200.

الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة" رواه البخاري ومسلم[1]، فكان لابد من معرفة وجه هذه المعجزة لإظهاره وإبرازه.

ومهما تعددت الأقوال فإن القول بأن بلاغة القرآن هي أحد صور إعجازه مما لا يكاد يختلف فيه أحد، ولا ينازع فيه منازع، يقول الزركشي عن الإعجاز: "وهو علم جليل عظيم القدرة لأن نبوة النبي صلى الله عليه وسلم معجزتها الباقية القرآن، وهو يوجب الاهتمام بمعرفة الإعجاز... قال تعالى: "و إن احد من المشركين استأجرك فأجره حتى يسمع كلام الله" التوبة 6.

فلولا أن سماعه إياه حجة عليه لم يقف أمره على سماعه، ولا تكون حجة إلا وهي معجزة، وقال تعالى: "أو لم يكفيهم أنّا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة و ذكرى لقوم يؤمنون" العنكبوت 51، فأخبر بأن الكتاب آية من آياته، و أنه كافٍ في الدلالة، قائم مقام معجزات غيره، وآيات سواه من الأنبياء، ولما جاء به صلى الله عليه وسلم إليهم وكانوا أفصح الفصحاء، ومصاقع الخطباء تحداهم أن يأتوا بمثله، وأمهلهم طول السنين فلم يقدروا.[2]

وقد أشار إلى هذه المعنى جل المفسرين، كقول أبي حيان: "ولما كان الغالب على زمان عيسى الطب أراهم الله المعجزة في جنس علمهم، كما أرى قوم موسى، إذ كان الغالب عليهم

1 - البخاري، صحيح البخاري، ج:4981، وصحيح مسلم، ج:152.

2 - الزركشي، البرهان في علوم القرآن، المرجع نفسه، ج:2، ص: 90.

السحر، المعجزة بالعصا واليد البيضاء، وكما أرى العرب، إذا كان الغالب عليهم البلاغة المعجزة بالقرآن. [1]

لذا فإن أقدر العلوم على كشف هذا الإعجاز هو البلاغة، يقول السكاكي: "اعلم أن شأن الإعجاز عجيب يدرك ولا يمكن وصفه، كاستقامة الوزن يدرك ولا يمكن وصفها و كالملاحمة، ومدرك الإعجاز عندي هو الذوق ليس إلا، وطريق اكتساب الذوق طول خدمة هذين العلمين أي البيان والمعاني". [2]

ولعل من أهم وظائف علم البلاغة اليوم خدمة الإعجاز البياني في القرآن، لاسيما بعدما تغيرت السليقة العربية، التي كانت تعرف ذلك دون تعليم أو تنظير كما أن إظهار هذا مهم في مخاطبة غير المسلمين على مر العصور، وفي عصرنا خصوصا، الذي ظهر فيه الاهتمام بالإعجاز العلمي، وأما الإعجاز البياني فلا نكاد نجد له ذكر في ترجمات معاني القرآن والكتب التي يخاطب بها غير المسلمين.

ومن هنا تظهر العلاقة بين الإعجاز القرآني وعلم البلاغة، إذ لا يعقل أن يتعلق الإعجاز بمجرد بيان غوامض المعاني والألفاظ، وقد ذكر أبو هلال العسكري: "أن أحق العلوم بالتعلم وأولاها بالتحفظ بعد المعرفة بالله –جل ثناؤه- علم البلاغة ومعرفة الفصاحة، الذي به يعرف إعجاز كتاب الله تعالى، الناطق بالحق الهادي إلى سبيل الرشد المدلول به على صدق الرسالة

1 - الأندلسي، أبو حيان. البحر المحيط في تفسير القرآن العظيم، دار الكتب العلمية، ط1،بيروت، 1413هـ،1993م، ج:2، ص: 489.

2 - السكاكي، علي. مفتاح العلوم، تحق: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، ط1، (دب)، 2000م، ص: 416.

وصحة النبوة التي رفعت أعلام الحق وأقامت منار الدين وأزالت شبه الكفر ببراهينها، وهتكت حجب الشك بيقينها. [1]

4- التحدي: ومثل الإعجاز التحدي الذي ورد في القرآن أكثر من مرة حيث فسر بالبلاغة حسن النظم، وقال بذلك جل المفسرين، يقول البيضاوي قوله تعالى: "أم يقولون افتريناه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين" يونس 38، في البلاغة وحسن النظم وقوة المعنى، على وجه الافتراء، فإنكم مثلي في العربية والفصاحة، وأشد تَمرٌّناً في النظم والعبارة. [2]

و أورد الرازي عن سلامة القرآن من الاختلاف: "أن المراد منه الاختلاف في رتبة الفصاحة، حتى لا يكون في جملته ما يعد في الكلام الركيك بل بقيت الفصاحة فيه من أوله إلى آخره على نهج واحد، ومن المعلوم أن الإنسان وإن كان في غاية البلاغة ونهاية الفصاحة، فإذا كتب كتابا طويلا مشتملا على المعاني الكبيرة، فلا بد وأن يظهر التفاوت في كلامه بحيث يكون بعضه قويا متينا وبعضه سخيفا نازلا، ولما لم يكن القرآن كذلك علمنا أنه المعجزة من عند الله تعالى[3]، وقال الألوسي عن هذا الكتاب و نفي الرّيب عنه في أول سورة البقرة: "هو الحقيق بأن يتحدى به،

1 - العسكري، أبو الهلال. الصناعتين، تحق:علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، (دط)،(دب)،(دت)، ص:11.

2 - البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر. أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي، مؤسسة شعبان، (دط) ،بيروت، ج:3، ص: 113.

3 - المرجع نفسه، ج:3، ص: 206.

لكمال نظمه في باب البلاغة وكماله في نفسه، وفيما هو المقصود منه[1]، وهذا كله يعني ضرورة إبراز هذه الميزة في القرآن الكريم، لما لها من أثر في بيان عظمة هذا الكتاب وعلو قدره، مما يبني له هيبة في القلوب والنفوس، ولا سبيل إلى ذلك دون علم البلاغة، الذي يعتني بالجانب التطبيقي في تفسير القرآن.[2]

1 -فخر الرازي. مفاتيح الغيب تفسير الكبير،دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع،ط1 ،بيروت-لبنان،1404هـ،1981 م، ج: 10،ص: 157.

2 - الألوسي، روح المعاني، المرجع نفسه، ج:1، ص: 110.

الفصل الأول

مراعاة مقتضى الحال في البلاغة العربية

1- مفهوم مراعاة مقتضى الحال.

2- مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

3- زوايا مقتضى الحال وفقا للأسلوب القرآني.

4- مقتضى الحال والمطابقة عند البلغاء.

5- أهمية مقتضى الحال في إنشاء الخطاب البليغ.

1- مفهوم مراعاة مقتضى الحال

قبل التعرض لمفهوم مراعاة مقتضى الحال ينبغي الإشارة أولا إلى الموضع أو المناسبة التي وجد فيها هذا المفهوم (مقتضى الحال)، ومنها ندرك أهميته...

يصادف القارئ هذا التعبير عند قراءته لتعريف بلاغة الكلام، لدى القزويني في قوله: "والبلاغة في الكلام مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته".[1]

وفي موضوع آخر "بلاغة الكلام هي مطابقته لمقتضى الحال مع سلامته من العيوب المخلة بفصاحة أجزائه".[2]

كما نلمح هذا التعبير أيضا في التعريف بعلم المعاني، فيقال "هو علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي يطابق بها مقتضى الحال".[3]

وإذا أردنا أيضا أن نعرف فن البديع فهو "فن تعرف به المحسنات الزائدة في الكلام على مطابقته لمقتضى الحال"[4].

كما نجد أن كل من السكاكي وابن الأثير تطرقا لهذا المفهوم، حيث نجد السكاكي يعرض لنا هذا المفهوم في بلورته التعريفية القاطعة لعلم البيان في قوله: "...وأما علم البيان فهو معرفة إيراد

1 - القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن. التلخيص في علوم البلاغة، ضبط وشرح عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، ط1، بيروت-لبنان، 1902م، ص: 33.

2 - قلقيلة، عبد العزيز. البلاغة الاصطلاحية، المرجع نفسه، ص: 20.

3 - السبكي، بهاء الدين. عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، دار السرور، (دط)، بيروت-لبنان، (دت)، ج:1، ص:155.

4 - ابن عاشور، محمد الطاهر. موجز البلاغة، المطبعة التونسية، ط1، نهج سوق البلاط (تونس)،(دت)، ص: 45.

المعنى الواحد في طرق مختلفة، بالزيادة في وضوح الدلالة عليها وبالنقصان، ليحترز بالوقوف في ذلك من الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه".[1]

أما ابن الأثير فقد تعرض لهذا المفهوم حين تعريفه لبلاغة الكلام قائلا: "وبلاغة الكلام تعني مطابقته لمقتضى حال الخطاب مع فصاحة ألفاظه مفردة ومركبة، ومقتضى الحال هو هذا مناسبة الكلام لحال المخاطبين وواقعهم مما يلزم المتكلم أن يخرج كلامه على وجه مخصوص".[2]

1-1: تعريف المراعاة:

1-1-1: لغة: قال ابن فارس: (رعى) الراء والعين والحرف المعتل أصلان: أحدهما المراقبة والحفظ والآخر الرجوع، فالأول رعيت الشيء رقبته ورعيت النجوم رقبتها ورعيته إذا لاحظته وأرعيته سمعي: أصغيت إليه و أرعني سمعك، بكسر العين أي ليرقب سمعك، والراعي الوالي والأصل الآخر: ارعوى عن القبح إذا رجع.[3]

والمراعاة: الحفظ والرفق وتخفيف الكلف والأثقال والرعاء، جمع الراعي، وأكثر ما يقال رعاة للولاة.[4]

1 - فضل، صلاح. بلاغة الخطاب وعلم النص، دار علم المعرفة، (دط)، (دب)، صدرت هذه السلسلة في يناير1978، ص: 110.

2 - حسن الشيخ، عبد الواحد. دراسات في البلاغة (عند ضياء الدين ابن أثير)، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، (دط)، (دب)، 1986، ص: 37.

3 - ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج:2، ص: 408 -409.

4 - انظر لسان العرب، ج:11، ص: 326 -329.

ورعايته مراعاة لاحظته محسنا إليه، ومنه مراعاة الحقوق[1]، قال تعالى: "والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون"[2]، أي حافظون.[3]

1-1-2: اصطلاحا: إن المعنى الاصطلاحي لا يبتعد المعنى اللغوي، ويجري مجراه بمعنى أن المراعي يلاحظ ويرعى قول غيره ويضعه في اعتباره ويحافظ عليه ويرفق به، ويمكن أن نخلص من خلال المادة اللغوية لمعنى المراعاة أن لها معنيين هما:

1- المراعاة بمعنى المحافظة على الشيء والرفق به: قال الراغب الأصفهاني الرعي في الأصل حفظ الحيوان إما بغذائه الحافظ لحياته، وإما بذب العدو منه يقال: رعيته أي حفظته[4]، وقال ابن القيم: المراعاة: الصيانة والحفظ .[5]

وقال ابن أثير: المراعاة الحفظ والرفق وتخفيف الكلف والأثقال عنه.[6]

وقال ابن عاشور: طلب المراعاة: أي الرفق لأن الرعي من لوازمه الرفق بالمراعى.[7]

1 - الحسين، مرتضى. تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، (دط)، (دب)، (دت)، ج:38، ص: 164.

2 - سورة المؤمنون، الآية 8.

3 - الشوكاني، ابن علي بن محمد. فتح القدير الجامع بين من الرواية والدراية من علم التفسير، دار الفكر العربي، (دط)، بيروت، (دت)، ج :3، ص: 679.

4 - الأصفهاني، راغب. مفردات القرآن، تحق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، ط1، دمشق، 1412 هـ، ص: 198.

5 - ابن القيم، ابي عبد الله، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، ط 2، بيروت، 1393هـ،1973 م،ج:2 ص:20.

6 - أبي السعادات، المبارك. النهاية في غريب الحديث والأثر، تحق: الطاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، (دط)، بيروت، 1399هـ،1979 م،ج:2 ص:236.

7 - ابن عاشور، الطاهر. التحرير و التنوير، ج:1، ص: 961.

2- مراعاة المناظرة والمراقبة: قال الراغب الأصفهاني مراعاة الإنسان للأمر مراقبته إلى مـــاذا يصير وماذا منه يكون، ويسمى كل سائس لنفسه أو لغيره راعيا[1]، يقال: "راعيت فلانا مراعـــاة ورعاء إذا راقبته وتأملت فعله و أرعيت فلان سمعي إذا استمعت ما يقول:".[2]

وراعيت يعني لاحظته[3]، والمراعاة الملاحظة[4]، ومنه ما كان الصحابة عليهم السلام من مراعاة مراعاة حال النبي صلى الله عليه وسلم في حركة وهيئة.[5]

قال ابن حجر: قال العلماء: الراعي هو الحافظ المؤتمن الملتزم صلاح ما قام عليه وما هو تحت نظره.[6]

فمراعاة أحوال الناس: تعني سياسة أمور الناس، واختيار الأصلح لهم، والاهتمام بشـــؤونهم والمحافظة عليهم، والرفق بهم والتخفيف عنهم وتقدير حالهم و واقعهم.

كما تعتبر المراعاة إحدى أساليب الكلام الهادف الذي به يقتضي الكلام نوعا من الرفـــق و الملائمة لحال المخاطب.

1 - الأصفهاني، راغب. مفردات غريب القرآن، المرجع نفسه، ص: 198.

2 - الأزهري، ابن منظور بن أحمد. تهذيب اللغة، تحق: محمد عوض مرعب، دار أحيـــاء التـــراث العـــربي، ط1، بـــيروت، 2001، ج:3، ص: 104.

3 - دريد، أبي بكر محمد بن الحسين. جمهرة اللغة، تحق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايـــين، ط1، بـــيروت، 1987 ج:2، ص: 776 .

4 - ابي السعادات،المبارك.. النهاية في غريب الحديث والأثر ،المرجع نفسه، ج:2 ، ص: 581.

5 - الشافعي، أبي الفضل بن حجر العسقلاني. فتح الباري، دار المعرفة، (دط)، بيروت، 1379، ج:3، ص: 582.

6 - المرجع نفسه، ج: 12، ص: 213.

1-1-3: مفهوم مقتضى الحال:

لكي تتم الدراسة العلمية لهذا المصطلح لابد من تعريف كل مصطلح على حدة، أي الحال ومقتضاه، ثم الجمع بينهما، ويستدعي الجمع بين الحال ومقتضاه، مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

المقتضى: هو الاعتبار المعين الذي يستدعي مجيء الكلام على صفة مخصوصة مناسبة للحال، كتأكيد في حال الإنكار أو التردد مثلا.[1]

ولا شك أن هذا المقتضى يتغير بتغير المناسبة أو المقام، فاعتبار الكلام اللائق بمقام ما يختلف من الاعتبار اللائق بآخر.[2]

الحال: هو الأمر الداعي للمتكلم إلى أن يعتبر في كلامه شيئا خاصا زائدا على أصل المعنى[3]، ويراعي البليغ في كلامه طبيعة من يسوق حديثه إليه والظرف المحيط به، الجو النفسي الذي يعيش تحت وطأته، ونُحسّ نحن المتحدثين العادين بأثر ذلك في كلامنا.[4]

إذن الحال هذا الأمر الداعي إلى إيراد الكلام على صورة مخصوصة سواء كان ذلك الأمر الداعي ثابتا في الواقع أم كان ثبوته بالنظر لما عند المتكلم[5]، ويشرح معجم البلاغة العربية الحال كذلك قائلا: "الحال هو الأمر الداعي للمتكلم إلى أن يعتبر مع الكلام الذي يؤدي به أصل المراد

1 - القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن. التلخيص في علوم البلاغة، المرجع نفسه، ص: 33.
2 - السبكي، بهاء الدين. عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (شرح التخليص)، المرجع نفسه، ص: 123.
3 - قلقيلة، عبد العزيز. البلاغة الاصطلاحية،المرجع نفسه، ص:30.
4 - علي العاكوب، عيسى. الكافي في علوم البلاغة، دار الهناء، ط1،(دب)، 1402هـ، ص:37.
5 - التونجي، محمد. المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1999م، ج:2، ص: 78.

خصوصية ما، أو تلك الخصوصية هي مقتضى الحال"[1]، أي أن يؤدي الكلام بسمات معينة مناسبة للمقام أو الحال الذي يلقى بنية الكلام.

وقد يتوهم السامع أن الحال شيء متعلق بورود الكلام على خصوصية معينة في زمن معين، وأن المقام هو المكان الذي قيل فيه، ولكن الحقيقة غير ذلك، إذ أن الحال والمقام شـــيء واحـــد[2]، والاختلاف يكون في الاستعمال.

فالمقام يستعمل مضافا للمقتضيات فيقال: مقام التأكيد مثلا والحال يستعمل كثيرا مضـــافا للمقتضى فيقال حال الإنكار فالإضافة بيانية.[3]

إذا: مقتضي الحال هو كما عرفه البلاغيون "الكلام الكلّي المرسوم بطابع خاص". ويعني هذا التعريف أن الذين نقبوا في كلام البلغاء وفي البيان العالي في القرآن الكريم، تبين لهـــم أن للكـــلام صورا خاصة و صياغات محددة و هيئات ثابتة، وأن كل صورة وصياغة وهيئة تستخدم في حـــال خاصة و مقام محدد وإطار معين.[4]

ولاشك أن مقتضى الحال يتفاوت بتفاوت المقامات والأحوال، فقد يقتضي الأمر إلى تنكير المسند أو تقديمه على المسند إليه، وقد يدعو الحال إلى تعريف أو حذفه لدلالة القرائن عليه، وقـــد

1 - طبانة، بدوي. معجم البلاغة العربية، دار الهناء للنشر ، دار الرفاعي للنشر، ط3، جدة، (دت)، ص: 84.

2 - المغربي، بن يعقوب. مواهب الفتاح في شرح التلخيص المفتاح، دار الكتاب العلمية، ط1، بـــيروت-لبنـــان، 2003م، ص:126،ينظر.

3 - المرجع نفسه، ص: 126.

4 - العاكوب، عيسى علي. الكافي في علوم البلاغة، ،المرجع نفسه، ص: 38.

يباين مقام الوصل مقام الفصل[1]، وكما تتفاوت مقامات الكلام في ذلك تتفاوت مقامات الكلمة الواحدة حتى ترى الكلمة تروقك وتونسك في موضع، ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر.[2]

إذن مقتضى الحال هو في الحقيقة لُبُّ البلاغة العربية وجوهرها، إنه وضع الكلمة المناسبة في المكان المناسب، إنه مخاطبة الأذكياء بما يليق بالأذكياء، وإنه مخاطب الأغبياء بما يليق بالأغبياء مع مراعاة الفصاحة[3]، ومقتضى الحال هو أن تخاطب الملوك بلغة تليق بالملوك، وأن تخاطب من فقد أمه وأباه بلغة الدمع والحرقة والألم الكاوي، وأن تحدث من طاربه الشوق وسربله الحظ والتوفيق بلغة الزقزقة والتغريد، وكلمات السعادة والفؤاد الخفاق وإذا أخطأت التوفيق و لم تراعي مقتضى الحال أخفقت فيما ما سعيت إليه، وابتذل الناس أسلوبك.[4]

لذا اعتبر القرآن الكريم هو أعلى درجات الكلام بلاغة ومطابقة للأحوال، وكيف لا يكون كذلك وهو من لدن عليم خبير بدقائق الأمور ومقتضياتها، وصدق عز وجل في قوله: "ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كبيرا".[5]

1 - طبانة، بدوي. معجم البلاغة العربية، المرجع نفسه، ص: 84. و كذلك أنظر: عباس، فضل. البلاغة فنونها و أفنانها، دار الفرقان للنشر و التوزيع، (دط)، (دب)، (دت)، (ينظر)، ص:11-12.

2 - الصعيدي، عبد المتعال. البلاغة العالية علم المعاني، ط2، (دب)، 1991م، ص: 37.

3 - بكري، شيخ أمين. البلاغة العربية في ثوبها الجديد علم المعاني، دار العلم للملايين للتأليف و النشر، ط6،(دب)، 1999م، ج:1، ص: 38.

4 - المرجع نفسه، ص: 38.

5 - سورة النساء، الآية 82.

وخلاصة لما سبق: مقتضى الحال هو كيفية كلامية يعرفها المتكلم، ويعرف الحال التي تقتضيها عند المخاطب وتبقى في ذهنه في صورة فكرة كامنة وتصور عقلي، حتى إذا جاءت الحال التي تقتضيها أثناء التخاطب أخرج كلامه وفقا لها، و قنانها العام: لكل كلمة مع صاحبتها مقام.[1]

ومراعاة مقتضى الحال تعد الصفة الجامعة التي ستضل بها كل الملاح والسمات الفنية الأخرى، فوجودها مع تخلف هذه السمة الأساسية يعد وجودا عبثيا لانعدام التناسب والتوافقية بين الإبداع والأشخاص والبيئة المكانية والزمانية.

1-2: مطابقة الكلام لمقتضى الحال:

1-2-1: المطابقة في اللغة: إن المفهوم اللغوي لمصطلح المطابقة عند ابن منظور في لسانه العربي لا يخرج عن الحقل الدلالي واحد عبر عنه بالمساواة والموافقة والاتفاق: "أطبقه وطبقه": فانطبق وتطبق أي غطاه وأصبح مطبقا... وطبق كل شيء ما ساواه والجمع أطباق... وتطابق الشيئان .. تساويا[2]، والمطابقة لا تتحقق إلا بين اثنين (طابق فلان فلانا، ووضع الفرس رجليه في موضع يديه).[3]

1-2-2: المطابقة في الاصطلاح: البلاغي هي المعيار الذي يقاس به الكلام وتحدد به درجة البلاغة، لذلك وجد التفاوت والتدرج في البلاغة من البليغ إلى الأبلغ، ومن الأبلغ إلى الإعجاز،

1 - العاكوب، عيسى علي. الكافي في علوم البلاغة، المرجع نفسه، ص: 39.

2 - ابن منظور، لسان العرب، مادة (ط/ب/ق)،م:4،ص:2636.

3 - المرجع نفسه، مادة (الطبق)،م:4،ص:2638.

فالمطابقة ارتباط وعلاقة بالبلاغة أو ليست البلاغة في مطابقة الكلام المقتضى الحال[1]، ومجيئه بكيفية وصورة معينة من أجل مطابقة معاني وأغراض معينة.[2]

فهي في الاصطلاح كذلك مساواة واتفاق، وتطابق بين طرفي المعادلة (الشكل والمضمون) (اللفظ والمعنى) (البنية العميقة والبنية السطحية) .

1-2-3: المطابقة في البلاغة العربية: لقد تبلور مفهوم المطابقة مع تبلور مفهوم البلاغة على أيدي دارسين شغفوا بالبحث عن منابع الجمال والبلاغة والإعجاز ومن بين هؤلاء الجاحظ (255هـ)، الذي أدرك أن غاية الكلام ومنتهاه هو مطابقة للمقتضى، كما أنه تجاوز الإطار اللغوي المحض للمطابقة والبنية اللفظية والبنية المعنوية بجوانب خارجية تقتضي البلاغة مراعاتها.

إذن تحصل مطابقة الكلام لمقتضى الحال في البلاغة العربية عند اشتماله على ذلك الأمر الزائد "الحال" مثال ذلك يقال لمن ينكر انتصار العرب على إسرائيل عام 1973 هو منكر الحال، فإنكار لهذا المخاطب لهذا الانتصار "حال"، لأنه أمر يحمل المتكلم على أن يعتبر في كلامه شيئا خاصا زائدا، على أصل المعنى "التأكيد" كما نرى الأمر الزائد على المعنى الأصلي هو ثبوت النصر للعرب والصورة التي وردت في الكلام فهي "مقتضى الحال"، إذن أن الحال اقتضاها ودعا إليها[3]، أما

1 - بدوي، أحمد. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مطبعة المجمع العلمي العراقي، (دط)، (دب)، 1407هـ،1987م ،ج:3، ص:268، (ينظر).

2 - فضل، صلاح. بلاغة الخطاب وعلم النص تعريف علم المعاني، المرجع نفسه، ص:110، (ينظر).

3 - قلقيلة، عبد العزيز. البلاغة الاصطلاحية، المرجع نفسه، ص: 30 -31.

اشتمال الكلام على هذه الصورة فهو "مطابقته مقتضى الحال" والعبارة بعد ذلك بليغة لأنها مطابقة لمقتضى الحال، أي مشتملة على ما يقتضيه الحال من التأكيد.

والتعبير المطابق لمقتضى الحال لابد وأن يشتمل على خصائص في الصياغة وأوضاع في التراكيب تدل دلالة واضحة على معانٍ يكون بها الكلام تماما وافيا بالغرض مطابقا لمتطلبات الموقف الذي سيق من أجله.[1]

ويقول "أبو موسى في شأن المطابقة "المطابقة إذا تعني الصدق والوفاء بما في النفس"، أو كما قال العلوي كذلك "هي وصول الإنسان بعبارته كنه ما في قلبه".[2]

إذن مطابقة الكلام لمقتضى الحال أو كما يقال مطابقة المقال للمقام[3]، والدلالة هي أبرز القضايا البلاغية عند العرب واستشعار المقولة السائدة (الكل مقام مقال)[4]، سياق الحال خاصة وهي حال المتكلم والمخاطب، وسائر ما يتألف على هيئات في القول تتنوع وفقا تنوع المقامات.[5]

1 - أبو موسى، محمد. خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، مكتبة وهبة، ط 2، القاهرة، ص: 38-39(ينظر).

2 - العلوي، حمزة يحي. الطراز المتضمن الأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، دار الكتاب العلمية، (دط)، لبنان، 1982م، ج:1، ص: 122.

3 - المقام: الأمور المقتضية لاعتبار خصوصية ما في الكلام وإذا اختلفت المقامات لزم اختلاف مقتضيات الأحوال لأن الاختلاف الأسباب والاقتضاء بوجوب الاختلاف المسببات، المرجع : حاشية الدسوقي، ج:1، ص: 125.

4 - لكل مقام مقال: هده العبارة مأخوذة من كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري، ص: 21.

5 - السكاكي، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، ط1، (دب)، 1983م، ص: 169.

1-2-4: الأسس التي تبنى عليها مطابقة الكلام لمقتضى الحال:

1- صحة اللغة وصوابها ويعني ذلك سلامة اللغة من العيوب.

2- جزالة الألفاظ وقوتها كما قال البشربن المعتمر: "أن يكون لفظك شريف عذبا وفخما وسهلا".[1]

3– أن يكون المعنى المقصود للمتكلم مطابقا ومنسجما مع ألفاظ التي استعمالها المتكلم.

4- مطابقة أحوال المخاطبين وذلك بأن تخاطب العامة بخطاب يناسبهم وتخاطب الخاصة بخطاب يناسبهم.

5- لا مانع من مخاطبة العامة بخطاب الخاصة إن ملك المتكلم القدرة على توصيل المعنى إلى العامة وهذه المنزلة منزله البليغ التام.

6- مراعاة أقدار المقامات وأقدار المستمعين، فمقام الإطلاق يباين مقام التقييد ومقام التقديم يباين مقام التأخير، ومقام التعريف يباين مقام التنكير.

7- أن يكون المتكلم صادق في نفسه، وعنصر الصدق هو التأثير في النفس لأن الذي يستطيع أن يؤثر في النفوس هو الذي يكون صادقا مع نفسه، وقد جعل العلوي الصدق والوفاء بها في النفس شرطا للمطابقة حيث يقول: "أن تصل عبارتك كنه ما في قلبك".[2]

1 - الجاحظ، الحيوان، تحق: عبد السلام هارون، الناشر مصطفى البابي الحلبي،1381 هـ -1965م، ص: 369.

2 - العلوي، حمزة يحي. الطراز، المرجع نفسه، ص: 122.

أما المطابقة عند الخطيب القزويني فهي البلاغة في الكلام، حيث يقول البلاغة في الكلام هي مطابقته لمقتضى الحال بشرط فصاحته.[1]

ومطابقة الكلام لمقتضى الحال هي ظهور كلام المتكلم وفق الصورة التي تقتضيها الحال التي يقال فيها، أي تطبيق المتكلم في كلامه ما تفرضه عليه حال مخاطبة من مقتضى، أي كيفية خاصة.[2]

1-3- زوايا مقتضى الحال وفقا لأسلوب القرآن الكريم:

تتمحور زوايا مفهوم مقتضى الحال في ثلاث زوايا فهي: حال السياق، حال المتكلم، حال المخاطب.

1-3-1 حال السياق:

لعل مما جاء به القرآن مراعيا حال السياق ومفهومه مثل قوله تعالى: "كل من عليها فان ويبقي وجه ربك ذو الجلال والإكرام".[3]

فالضمير في قوله "عليها" ليس له عائد سابق يوضحه ولكنه يفهم من سياق الآيات قبله.[4]

فالسورة الكريمة منذ بدايتها تحدثت عن خلق الإنسان والسماوات والأرض وما بينهما وما تحتويانه من نعم كثيرة[5]، فالمناسب أن يذكر السياق الكريم أن كل من عليها فان وان البقاء لله، عز

1 - الصعيدي،عبد المتعال. البلاغة العالية علم المعاني، المرجع نفسه، ص: 37.

2 - العاكوب، عيسى علي. الكافي في علوم البلاغة، ، المرجع نفسه، ص: 39.

3 - سورة الرحمن، الآية 28.

4 - عباس، فضل. البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني)، دار الفرقان للطباعة والنشر و التوزيع، ط4 ، الأردن، 1417هـ،1997م ، ص: 130. ينظر

5 - سورة الرحمن، الآيات من 1 -20.

وجل، فلا يجد السامع في تحديد المقصود من هذا الضمير صعوبة لفهمه من سياق الآيات الكريمات.

وقد يكون حال السياق ومفهومه سببا في تنكير بعض الألفاظ التي تدل في مكانها على معاني خاصة لا يتوصل إليها إلا ضمن ذلك السياق، كما جاء في شأن الكفار في قوله تعالى: "ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم".[1]

فالذي يستنبط من خلال من دراسة السياق في تنكير لفظ "غشاوة" دلالة على النوعية، كما ذهب الزمخشري[2]، أي نوع خاص من الغشاوة المناسبة من كفرهم، وذهب آخرون إلى أنها غشاوة عظيمة، وما في هذا الرأي بعد عن قول الزمخشري، فالنوعية لفظ عام يحتمل الغشاوة العظيمة أو غيرها، وقد لا يكون التنكير دالا على النوعية فقط في سياق القران، فقد يقتضي الحال أن يكون التذكير موحيا بغير ذالك.

فاستمع إلى قوله تعالى: " وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله اكبر ذلك هو الفوز العظيم".[3]

فالحال في الآية الكريمة يوحي أن المراد من التذكير هنا هو التقليل، بمعنى أن أي "رضوان" من المولى، عز وجل مهما قل هو أعز على العبد المؤمن من كان ما ذكر في الآية الكريمة قبله، لأنه

1 - سورة البقرة، الآية7.

2 - الزمخشري، أبو قاسم. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيوب الأقاويل في وجوه التأويل، دار المعرفة، ط3، لبنان، 2009م، ص: 165.

3 - سورة التوبة، الآية 72.

سبب في دخول الجنة وأي سبب ؟ ولا تدل على ذلك من ما جاء بعدها وهو قل له تعالى: "ذلك هو الفوز العظيم".

كما يمكن أن يقصد من التنكير رضوان الله –عز وجل– وتقديسه.[1]

وقد يؤدي حال السياق إلى أن تقتضي الجملة الأولى سؤالا يفهم بمعونة القرائن وسياق الأحوال، يقدر هذا السؤال السامع، فتأتي الجملة الثانية أو الآية الثانية إجابة عن هذا السؤال المقدر[2]، كما جاء في قوله تعالى: "قال يا نوح إنه ليس من أهلك أنه عمل غير صالح".[3]

فإن السياق في الآية الأولى تضمن " حكما غريبا إذا المخاطب هو نوح عليه السلام والحديث عن ابنه، ومع ذلك قيل له ليس من أهلك؟فكيف يكون ذلك ؟؟

هذا هو السؤال المقدر والذي يتبادر إلى ذهن السامع مباشرة، فما كان من السياق الكريم إلى أن راعي هذا الاعتبار وذلك للإنكار –المقدر-.

فجاءت الإجابة بأسلوب توكيدي (انه عمل غير صالح).

كما قد يقتضي حال السياق أيضا أن تشتمل الجملة الأولى على استفهام تقديري يثير التعجب مثل قوله تعالى: "ألم ترى إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجيت والطاغوت".[4]

1 - عباس، فضل. البلاغة فنونها وأفنانها(علم المعاني)، المرجع نفسه، ينظر، ص: 255.

2 - محمد نحلة، سعاد. الاستئناف البياني دلالته وفنيته، مجلة الزهراء، كلية الدراسات الإسلامية والعربية، جامعة الأزهر، العدد الثالث عشر، 1415هـ ، ص: 496. ينظر.

3 - سورة هود، الآية 46.

4 - سورة النساء، الآية 51.

فالإجابة في الجملة الثانية من كل آية من الآيتين السابقتين هو مقتضى حال السياق وضرورة مطلوبة ليتم الكلام ويأتي على أبلغ وجه وأكمله، فتقدير السؤال المحذوف هو: ما شأنهم؟.

1-3-2: حال المتكلم: وهي الزاوية الثانية من مراعاة مقتضى الحال، فهي مراعاة حال المتكلم وبيان ما تنطوي عليه سريرته، فانظر -مثلا- إلى قوله تعالى: "هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد".[1]

فجاءت لفظة "رجل" نكرة رغم معرفة المشركين لرسول الله والتنكير لم يقصد به القرآن الكريم قطعا الحط من قدره، وإنما نقل بهذه الطريقة مشاعرهم الحاقدة تجاه خير الأنام عليه الصلاة والسلام.

ويراعي القرآن الكريم أيضا حال المتكلم عندما قال عز وجل "ربي إني وضعتها أنثى".[2]

فالآية تنقل لنا إحساسها بالحزن والحسرة، بدليل ما جاء بعدها مباشرة، وهو قوله تعالى: "والله أعلم بما وضعت".[3]

كذلك قوله تعالى: "وذا النون إذا ذهب مغاضبا فظن إن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين".[4]

1 - سورة سبأ، الآية 78.
2 - سورة الأعراف، الآية 03.
3 - سورة الأعراف، الآية 03.
4 - سورة الأنبياء، الآية 87.

فليس المقصود من التأكيد هنا إلا حال المتكلم وحسه بالمعنى، وأنه متقرر في نفسه مؤكد في ضميره، وتجد هذا في توكيد الخبر ب(إن)، في قوله تعالى: "إني كنت من الظالمين"[1]، كذلك في قوله تعالى "ربي إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع"[2]. وفي قوله "ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان"[3]، وشبه ذلك كثيرا ،وكله يحمل على اعتبار حال المتكلم وقوة إحساسه بالمعنى.[4]

1-3-3: حال المخاطب: والمقصود هنا مراعاة حال المخاطب في أي زمان ومكان من حيث عدم علمه بالخبر وخلو ذهنه منه، أو إعلامه أن المتكلم لديه علم بما يخفيه عنه ذلك المخاطب،أومخاطبته بالطريقة التي تليق به إن كان منكرا للخبر أو مترددا في صدقه.

فإذا كان المخاطب لا يعلم عن الأمر الملقي إليه شيئا، ألقى إليه الكلام مجردا من أي مؤكد لفظي، لأن حال جهله بالخبر تقتضي ذلك[5]، مثال قوله تعالى: " والله يدعوا إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ".[6]

فهذه الدعوة الحميمة من المولى عز وجل لم تكن في خلد السامعين وليس لديهم علم بها، لذا جاء الخطاب في أبسط تركيب وأسهله وهو ما يسمى "بفائدة الخبر"، وكل ما جاء كذلك، فهو من هذا الباب مادام المخاطب ليس لديه علم مسبق عن هذا الخبر.

1 - أبو موسى، محمد. دلالات التركيب المرجع نفسه، ص:103.
2 - سورة إبراهيم، الآية 37.
3 - سورة آل عمرن، الآية 193.
4 - أبو موسى، محمد. دلالات التركيب، المرجع نفسه، ص: 104، ينظر.
5 - شيخ أمين، بكر. البلاغة في ثوبها الجديد (علم المعاني)، المرجع نفسه، ج:1، ص: 56، ينظر.
6 - سورة يونس، الآية 25.

والحالة الثانية التي يمكن أن يكون عليها المخاطب وينبغي أن يكون الكلام مطابقا لها، هي علمه بذلك الأمر ورغبة المتكلم في إخباره انه يعلم بالموضوع كأنه يقول الشخص لأخر: "رأيتك تنصت إلى قراءة القرآن" أو: عملت بسفرك أمس.

ومنها قوله تعالى: "ما أبوك امرؤ سوء وما كانت أمك بغيا".[1]

فالمخاطبة أكثر الناس علما بأبيها وأمها، فقد كان من بينهم شرفه ومكانته في القوم[2]، وهذا ما يسمى بلازم الفائدة لذا جاء خاليا من أدوات التوكيد[3]، ومنه قوله تعالى عن المنافقين: " المنافقين والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم أن المنافقين هم الفاسقون".[4]

فالمخاطب بالقرآن والمترل عليه الوحي وهو رسول الله كما هو معلوم، والمستمعون بعد لهذه الآيات فهم المؤمنون ومنهم المنافقون[5]، فيعرفهم السياق الكريم بهذه الأمور التي قد يظنون خفاءها عن غيرهم، ولأن الأمر معلوم ومسلم به لديهم ولدى الرسول الكريم، فقد اقتضت الحال أن يأتي الكلام خاليا من أي مؤكد من المؤكدات.

1 - سورة مريم، الآية 28.

2 - ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل. تفسير ابن كثير، دار الفكر للطباعة والنشر، (دط)، بيروت- لبنان، 1981م، ج:3، ص: 108.

3 - من المؤكدات إنّ/أنّ/ألاّ الاستفتاحية ضمير الفعل، فضلا، أنظر البلاغة في ثوبها الجديد، ص: 61.

4 - سورة التوبة، الآية 67.

5 - ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل. تفسير ابن كثير، المرجع نفسه، ص: 268.

أما عند الإخبار عن فسقهم فيؤكد الخبر بأكثر من مؤكد[1]، وذلك لإنكار المنافقين وعدم اعترافهم بفسقهم.

أما قوله تعالى: " وما أنت بسمع من في القبور إن أنت إلا نذير".[2]

فالمخاطب هنا يعلم بهذه الحقيقة ولكنه يحتاج إلى شدة التنبيه والتأكيد على ضرورة عدم الحزن من القوم وحالة أعراضهم عنه، وكأن حاله عليه الصلاة والسلام قد وصلت إلى حد من يعتقد أن يملك مع الإنذار القدرة على هدايتهم وهيهات أن يكون له ذالك.[3]

وقد يقتضي حال المخاطب أن يؤكد له الكلام بأحد المؤكدات، كأن يكون ضانا في الأمر أوشاكا أو مترددا أو منكرا تماما لذلك الخبر.[4]

وهنا لابد من قرينة حالية او مقالية يلاحظها المتكلم أو يقرؤها حتى يعلم إلى أي من هؤلاء ينتمي مخاطبه ليلقي إليه كلامه موافقا ومطلقا لتلك الحال، أو هذا ما يعرف بخروج الكلام على مقتضى الحال الظاهر.[5]

فإذا كان المخاطب مترددا أو شاكا في ثبوت ما يقال له، فمقتضى هذه الحال أن يلقى له الكلام مؤكدا بإحدى المؤكدات كما جاء في قوله تعالى: "سيجعل الله بعد العسر يسرا:"[6]

1 - المؤكدات هنا (أن ضمير الفصل، ال التعريف).

2 - سورة فاطر، الآية 22.

3 - أبو موسى، محمد. دلالات التراكيب، المرجع نفسه، ص: 109، ينظر.

4 - القزويني، الخطيب. الإيضاح في علوم البلاغة، شرح وتعليق: محمد عبد المنعم خفاجي، ط5، (دب)، 1980م، ج:1، ص: 22-93، ينظر.

5 - القزويني، الخطيب. الإيضاح في علوم البلاغة، المرجع نفسه، ص:93، ينظر.

6 - سورة الطلاق، الآية 7.

فالآية موجهة إلى الرجل المطلق الذي ليس لديه سعة من المال، والذي تطالبه الشريعة رغم ذلك، فالإنفاق قدر استطاعته على زوجته الحاضنة لابنه، فالمخاطب هنا قد يكون لديه شك أو تردد في أن تعوض له هذه النفقة من الله عز وجل[1]، فكان من مقتضى الحال أن يثبت له القرآن الكريم ذلك، ويؤكده بأحد المؤكدات –وهي السين– حتى يزيل عنه ذلك الشك أو التردد.

كذلك في قوله تعالى: " قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله...."[2]، فالآية تخاطب قوما يرون في الرسول العظيم القدوة على أن يملك لنفسه الضر والنفع ويعلم الغيب[3]، فناسب حالة الشك هذه أن يقترن الأسلوب بالنفي والاستثناء وهي طريقة من طرق التأكيد وما ذاك إلا لإزالة الشك من نفوس المخاطبين.[4]

أما عند مخاطبة المنكر للأمر فلا بد من سبر أغوار نفسه ومعرفة مدى قوة ذلك الإنكار حتى يأتي الخطاب مقرونا بمؤكدات كافية تناسب ذلك، وحتى يكون الكلام مطابقا للحال، وأمثلة ذلك كثيرة في القرآن الكريم، فاستمع مثلا إلى قوله تعالى: " وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون إلا أنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون"[5]، فالآية الكريمة تنقل لنا حالتهم وعملهم بعدم تصديق السماح لهم فدعائهم ذلك إلى تأكيد حديثهم ب (إنما) ويأتي الرد مناسبا لإنكارهم

1 - بن محمد العمادي، محمد. تفسير أبي مسعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)، دار إحياء التراث، (دط)، (دب)، (دت)، ج:8 ، ص:263، ينظر.

2 - سورة الأعراف، الآية88 .

3 - الأندلسي، أبو حيان. تفسير البحر المحيط، دار الفكر، ط2، (دب)، (دت)، ج:4، ص: 436.

4 - أحمد بدوي، أحمد. من بلاغة القرآن، المرجع نفسه،ص: 158، ينظر.

5 - سورة البقرة، الآيتان 11-12.

تلك الحقيقة والمدارة منهم، لذا جاء الكلام مؤكدا بأكثر من مؤكد وذلك حسب قوة إنكارهم.[1]

ومثله ما جاء في قوله تعالى: " واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذا جاءها المرسلون إذا أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون قالوا ما انتم إلا بشر مثلنا وما انزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون".[2]

ثم قالوا في المرة الثانية: " ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون ".[3]

فمقتضى ما هم عليه من حال الإنكار في المرة الأولى إن يأتي كلام المرسلين مؤكدا بأحد المؤكدات وهي (إن) فقط في قوله "إنا إليكم مرسلون".[4]

واقتضت حال الإنكار الثانية وهي اشد من الأولى أن يأتي السياق الكريم بأكثر من مؤكد[5]، مؤكد[5]، لإثبات ما جاء به لإزالة تكذيب المخاطبين وإنكارهم للدعوة الراشدة، فجاء في سياق الآية الكريمة (إن و لام الابتداء) التي اقترن به الخبر، مع ما يشعر بالقسم في قوله "ربنا يعلم".

ومن مقتضى الحال أيضا أن يؤكد القرآن الكريم أمرا حقيقيا لا جدال في وقوعه، وذلك لأن المخاطب أصابته الغفلة عن إدراك تلك الحقيقة أو مجرد التفكير في المصير، فقال تعالى: " ثم إنكم بعد ذلك لميتون ثم إنكم يوم القيامة تبعثون".[6]

1 - المؤكدات: هنا ألا الاستفتاحية إن ضمير الفعل.

2 - سورة يس، الآيتان 13-14.

3 - سورة يس، الآية 15.

4 - سورة يس، الآية 16.

5 - أحمد بدوي، أحمد. من بلاغة القرآن، المرجع نفسه، ص: 145، ينظر.

6 - سورة المؤمنون، الآيتان 15-16.

فالموت والبعث –لدى المؤمنين– أمران لا يحتاجان إلى التأكيد، أما الكافر فقد اقتضت حاله أن يؤكد له ذلك بأكثر من مؤكد.

تلك هي الأحوال التي يراعي فيها المتكلم حال المخاطب الظاهرة[1]، مطابقة الحال مع مخالفة الظاهر.

وهنا قد يتطلب الظروف أن يتغاضى البليغ عن حال ظاهرة، فيخالف القواعد المذكورة فيأتي حديثه –رغم ذلك- بليغا طابق فيه الحال، فلو طلب مثلا من مسلم عدم الإهمال في صلاته رغم علمه بوجوب ذلك فيقال له –صلواتك الخمس حافظ عليها ولا تترك واحدة منها.

فلا بد أن حالة إهماله في صلاته كلها أو في بعضها اقتضت أن يحدث بالطريقة التي يحدث بها الجاهل بالخبر وذلك لعدم وعمله بموجب ذلك العلم.[2]

كذا إذا خوطب غير المنكر للخبر أو للحكم مخاطبة المنكر كما جاء في قوله تعالى "إنك لا تهدي من أحببت...".[3]

فالمخاطب هو رسول الله وهو غير منكر ذلك ويعلم تماما أن الهداية من الله وحده عز وجل، وبإرادته سبحانه وتعالى ولكنه لفرط حرصه عليه الصلاة والسلام، ولاهتمامه بتبليغ الدعوة كان مشقا على نفسه في محاولة هداية، من أحب من قومه وكل من حوله من أهله، فكان من مقتضي

1 - أحمد بدوي، أحمد. من بلاغة القرآن، المرجع نفسه، ص: 147. ينظر.

2 - شيخ أمين، بكر. البلاغة في ثوبها الجديد (علم المعاني)، المرجع نفسه، ص: 73، ينظر.

3 - سورة القصص، الآية 56.

هذه الحال أن يخاطب مخاطبة المنكر للخبرة لأن تصرفه عليه الصلاة و السلام وحرصه الشديد اقتضيا ذالك الأسلوب الخطابي[1]، وهو التأكيد أن في قوله: "انك لا تهدي من أحببت..."

كذا قد يخاطب المنكر مخاطبة غير المنكر، فلا يؤكد له كلام بأي مؤكد لوجود الأدلة الواضحة على صدق ما يقال له، كما جاء في قوله تعالى: " ألم ذلك الكتاب لا ريب فيهم هدى للمتقين".[2]

فرغم أن القرآن الكريم نزل على محمد وخاطب به المشركين المنكرين له، إلا أن إلا أن الآية –وأمثالها كثير-[3]، خلت من أدوات التوكيد لأن السامعين يشهدون شهادة لا يدانيها شك في فصاحته وبلاغته التي أعجزهم.[4]

وقد يخاطب غير السائل مخاطبة السائل المستشرق للحقيقة، كما يقال لشخص مثلا: لا تجادل في الحق، فالحق أحق أن يتبع فحال السامح هنا اقتضت هذا الخطاب الذي قدر قلبه سؤال محذوف بعد نهاية الجملة الأولى مباشرة، وهو (لم لا أجادل في الحق).[5]

ومن هذا الباب قوله تعالى: "يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم".[6]

1 - القرطبي، عبد الله بن محمد الأنصاري. تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن، ج:6، ص:5015. ينظر.
2 - سورة البقرة، الآية 1.
3 - الآيات في سورة إبراهيم، الآيتان 32-33، سورة الكهف، الآية 1 ، سورة النور، الآية 1.ينظر
4 - أنظر قول الوليد بن المغيرة عن القرآن في القرآن المعجزة الكبرى، محمد أبو حمزة، ص: 56، دار الفكر العربي.
5 - العلوي، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، المرجع نفسه، ج:2، ص:93، ينظر
6 - سورة الحج، الآية 1.

فلما أمر السياق الكريم بتقوى الله وحذر من عقابه، تطلعت نفس السامع إلى معرفة السبب مع الشك في العقاب، فجاءت الإجابة مطابقة للحال أو مقتضية لذلك الشك إذا اقترن الأسلوب ب(إن) المؤكدة للخبر المذكور في الآية الكريمة.

كما تقتضي حال المخاطب –الذي يعتقد بشيء مخالف للواقع- أن تقلب عليه ذلك الاعتقاد كقولك مثلا: ما فاز محمد (لمن ظن أن غيره قد فاز) ومثلها من القرآن قوله تعالى: "واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا".[1]

كذا في حال ظن السامع اشتراك شخصين أو شيئين في حكم واحد، فالحال تقتضي أن تأتي بخصائص أسلوبية تفرد له شيئا أو شخصا واحدا في ذلك الحكم، فنقول لمن ظن أن زيدا ومحمد قادمان: إنما القادم زيد، ومنها قوله تعالى: "قل هو الله احد الله الصمد".[2]

يخاطب بها من ظن أن الله سبحانه وتعالى يشترك مع غيره في هذه الصفات فكل أية من السورة تفرد له صفة لا يمكن أن يشاركه فيها غيره[3]، سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا.

ومنها قوله تعالى: "وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو".[4]

يخاطب بها كل من ظن أو أشرك مع الله تعالى أحدا في معرفة الغيب[5]، وساعد على ذلك أسلوب القصر في قوله: "لا يعلمها إلا هو".

---

1 - سورة البقرة، الآية 102.

2 - سورة الإخلاص، الآيتان 1-2.

3 - بن محمد العمادي، محمد. تفسير أبي السعود، المرجع نفسه، ج9، ص:212، ينظر.

4 - سورة الأنعام، الآية 59.

5 - الشنقيطي، محمد الأمين. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، عالم الكتب، (دط)، بيروت، (دت)، ج:2، ص: 195. ينظر

1-4- مقتضى الحال و المطابقة عند البلغاء:

1-4-1- مقتضى الحال عند البلغاء:

يعتبر الكلام هو الأثر الناتج عن إرادة الكلام، وهو بهذا يجمع بين الجانب الإنساني من حيث الإرادة والجانب الاجتماعي من حيث فعل الكلام ويبلغ أعلى درجات الصدق إذا تحقق فيه التوافق بين إرادة التكلم والظاهرة اللغوية، وفي إرادة التكلم يظهر الموقف الإنساني وهو مختلف من الإنسان إلى آخر، يتطلب هذا الاختلاف في الظاهرة الكلامية لأن الكلام رهن بالمواقف التي يقال فيها، ولأن لكل مقام مقال كما قال البلاغيون، وهو الأساس المتين الذي تقوم عليه البلاغة العربية والذي يتمثل في مطابقة الكلام لمقتضى حال السامعين مع فصاحته.

وقد تتبع هذه الظاهرة عدد من العلماء حيث وجدوا تقارب بينهم ابتداء بصحيفة بن المعتمر 210هـ الجاحظ 255 هـ والإمام عبد القاهر الجرجاني 449 هـ، الراغب الأصفهاني 502 هـ، السكاكي 626 هـ.

وعندما تحدث العلماء عن مقتضى الحال وقالوا لكل مقام مقال، ولكل كلمة مع صاحبته مقام، وقفوا على عبارتين مع جوامع الكلم، وتقدموا على زمانهم ألف سنة، لأن الاعتراف بفكرتي المقام والمقام باعتبارها أساسين متميزتين من أسس تحليل المعنى، يعتبر الآن من الكشوف التي جاءت نتيجة لمغامرات العقل المعاصر في دراسة اللغة، علما بأنهم قد استفادوا مما ذكره علماء

البلاغة أمثال الإمام عبد القاهر الجرجاني في كتابيه دلائل الإعجاز، وأسرار البلاغة أو من خـــلال نظريته الشهيرة "نظرية النظم".[1]

قال بشير بن المعتمر موضحا، القضايا المهمة المتعلقة بمراعاة الحال والـــتي تتعلـــق بـــالمتكلم والمخاطب "ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما، ولكل حالة من ذلك مقاما حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات و أقدار المستمعين على أقـــدار تلـــك الحالات"[2]، وقد ربط بشر في هذا التوجيه بين ثلاث أشياء: أقدار المعاني وأوزان المستمعين وأقدار الحالات، وهو جزء مما يعرف في الدرس الحديث باسم سياق الحال.

وقد أشار الجاحظ إلى ذلك حيث جعل لكل ضرب من الحديث ضربا من اللفظ، ولكـــل نوع من المعاني نوعا من الأسماء، فالسخيف للسخيف، والخفيف للخفيـــف، والجـــزل للجـــزل والإفصاح في موضوع الإفصاح، والكتابة في موضع الكتابة"[3]، ومعلوم أن الكاتب لا يكتب لنفسه وإنما يضع في اعتباره سامعا أو مستقبلا، وتوصيل المعلومات لا يتم إلا بين قائل وسامع أو مـــتكلم أو مخاطب كما يقول القدماء أو بات ومستقبل كما يفضل أهل الحداثة وغايتهما تحقيق الفهم أو الإفهام.

1 - علوان، نعمان. نظرية مقتضى الحال بين أوستين والبلاغة العربية، مجلة كلية الآداب، منها العدد 7 ينـــاير2001م، ص: 72.

2 - الجاحظ، البيان والتبيين، المرجع نفسه، ص: 85.

3 - الجاحظ، الحيوان،المرجع نفسه، ج:1، ص: 30.

كما ربط الجاحظ بين حسن الاستماع والقدرة على الكلام البليغ إذ يقول: "من لم يحسن أن يسكت لم يحسن أن يستمع ومن لم يحسن الاستماع لم يحسن القول"، وقد تحدث الإمام عبد القادر الجرجاني عن مقتضى الحال بطريقة جديدة تختلف عن الطريقة التي تحدث بها البلاغيون، حيث ربط بين الكلام وبين المعنى الذي يعبر عنه حيث يقول: "النظم وهو توخي معاني النحو فيما بين الكلم على حسب الأغراض التي يصاغ لها الكلام، فالشاعر البازل أو الكاتب المجيد هو الذي يضع كلامه الموضع الذي تقتضيه تلك المعاني".[1]

وبهذا يرتب الجرجاني عملية النظم منذ بداية، في حال كونها فكرة وحتى تصبح نظما، وتصويرا مع مراعاة كل السبل التي توصل إلى ذلك، والذي يعرف عند البلاغيين: بمطابقة الكلام لمقتضى الحال ومقتضى الحال هو الاعتبار المناسب وهو ما يسميه الجرجاني بالنظم كما يقول القزويني في الإيضاح.

ويوضح الدكتور تمام حسان فكرة المقام، فيقول: وفكرة المقام تعتبر المركز الذي يدور حوله علم الدلالة الوصفية في الوقت الحاضر، وهو الوجه التي تتمثل فيه العلاقات والأحداث والظروف الاجتماعية التي تسود ساعة أداء المقال، ومن المعروف أن إجلاء المعنى على المستوى الوظيفي (الصوتي والصرفي والنحوي) وعلى المستوى المعجمي فوق ذلك لا يعطينا إلا معنى المقال أو المعنى الحرفي كما يسميه النقاد، أو معنى ظاهر نص كما يسميه الأصوليون، ويرى أيضا انه لا يمكن الفصل بين المقام كما حدث من اليهود ما حدث من اليهود، عندما سمعوا قوله تعالى: "من ذا

1 - الجرجاني، عبد القاهر. دلائل الإعجاز، تحق: محمود شاكر، مكتبة الخانجي، ط2، القاهرة، 1410هـ، ص: 13.

الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون"[1]، فقالوا: "إن الله فقير ونحن أغنياء"[2]، فرد عليهم أبو الدحداح وقد فهم المقام فهما حقيقيا: "إن الله كريم استقرض منا وأعطانا"[3]، وقد فطن المفسرون إلى التفريق بين المعنى المقالي والمعنى المقامي، وخاصة أن المعنى الدلالي يعتمد على هاتين الدعامتين، ولذلك جعل السكاكي ارتفاع شان الكلام في باب الحسن والقبول، وانحطاطه من ذلك بحسب مطابقة الكلام لما يليق به وهو الذي سميه مقتضى الحال".[4]

1-4-2- المطابقة عند البلغاء:

لقد تعرض للمطابقة كل من عبد القاهر الجرجاني، والقزويني، والجاحظ والسيد قطب....

1- المطابقة عند عبد القاهر الجرجاني:

إن المطابقة عند عبد القاهر الجرجاني قائمة بين البنية المعنوية والبنية اللفظية، وهذه الأخيرة هي الطرف الظاهر البائن الذي يكشف عن تلك البنية المعنوية العميقة "أعلم أن الكلام هو الذي يعطي العلوم منازلها، ويبين مراتبها ويكشف عن صورها...، فلولاه لم تكن لتتعدى فوائد العلم

1 - سورة البقرة، الآية 245.

2 - سورة آل عمران، الآية 181.

3 - تمام، حسان. اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، ط5،(دب)، 1427هـ،2006م، ص: 337.

4 - السكاكي، مفتاح العلوم، المرجع نفسه، ص: 168.

عالمه، ولا يصح من العاقل أن يفتق أزاهير العقل كمائمه ولتعطلت قوى الخواطر والأفكار من معانيها، أو استوت القضية في موجودها وفانيها".[1]

وقد تكون هذه المطابقة من جهة إخراج الكلام وفق مقتضى الظاهر (المعيار)، أو تكون من جهة إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر (العدول)، فأما الأول فهو لا يخالف المعيار ولا يخرج عنه، إنما يأتي كلاما منظوما وراعيا ترابط الألفاظ بعضها ببعض، مطابقا للمعاني والأغراض، قد ورد هذا الضرب في القرآن الكريم، خاصة في مواضع التشريع والمنطق.

أما الثاني فهو إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر والعدول به من المعيار إلى اللامعيار، وقد أفاض عبد القاهر الجرجاني في الحديث عن هذا الضرب من الكلام (العدول) بجانبيه التنظيري والإجرائي، فلمسنا من حديثه أن مستويات العدول عنده من أجل المطابقة هي: مستوى العدول باللفظ ومستوى العدول بالتركيب. (اعلم أن الكلام ينقسم إلى قسمين: قسم تعزى المزية والحسن فيه إلى اللفظ، وقسم يعزى ذلك فيه إلى النظم).[2]

- مستويات المطابقة عند عبد القاهر الجرجاني:

* **مستوى العدول باللفظ:** تحدث عبد القاهر الجرجاني عن العدول باللفظ والإتيان به على خلاف مقتضى الظاهر وذلك من أجل المطابقة مقتضى الحال الداعية للكلام "فالقسم الأول، الكناية، والاستعارة والتمثيل، الكائن على حد الاستعارة وكل ما كان فيه على الجملة مجاز

1 - الجرجاني، عبد القاهر. أسرار البلاغة تعليق وتحق: محمد شاكرمحمود. دار المدني، (دط)، جدة، (دت)، ص: 21.
2 - الجرجاني، عبد القاهر. دلائل الإعجاز، المرجع نفسه، ص: 329.

واتساع وعدول باللفظ عن الظاهر، فما من ضرب من هذه الضروب إلا وهو إذا وقع على الصواب وعلى ما ينبغي وأوجب الفضل والمزية...".[1]

فتناول الجرجاني كل ضرب من هذه الأضرب بالشرح والتمثيل.

* **مستوى العدول بالتركيب:** تحدث الجرجاني عن العدول بالتركيب وروده على خلاف مقتضى الظاهر الداعية لإخراج الكلام نحو: التقديم والتأخير، الحذف، الفصل والوصل والقصر، والاختصاص، فأورد لكل باب حظه من التمثيل والتطبيق.

هذه هي نظرية المطابقة عند الجرجاني، والتي استخلصناها من مجموع نصوصه، وتطبيقاته، والتي أطال فيها الحديث، فكانت هي الخيط الخفي الذي بنى عليه نظريته في النظم.

لكن الحديث عن المطابقة لم يتوقف عند عبد القاهر الجرجاني، بل خاض فيها من جاء بعده أمثال الخطيب القزويني (739هـ) الذي استفاد مما دار في كتب الجرجاني، ولخص النظرية تلخيصا تاما ومركزا.[2]

2- المطابقة عند القزويني:

لقد صرح القزويني بمفهوم المطابقة تصريحا واضحا مباشرا، جاعلا منها منبعا ومصدرا للبلاغة، إذ قال: "وأما بلاغة الكلام فهي مطابقته لمقتضى الحال..."[3]

1 - الجرجاني، عبد القاهر. دلائل الإعجاز، المرجع نفسه، ص: 329.

2 - المرجع نفسه، ص: 329.

3 - القزويني، الإيضاح، المرجع نفسه ، ج:1، ص: 42.

وذهب إلى أن المطابقة هي ما أسماه الجرجاني بالنظم في قوله: "وهذا أعني تطبيق الكلام على مقتضى الحال يسميه الشيخ عبد القاهر الجرجاني بالنظم، حيث يقول: النظم تآني معاني النحو في ما بين الكلم على حسب الأغراض التي يساغ لها الكلام".[1]

فالكلام البليغ عند القزويني، هو الكلام الذي يطابق مقتضى الحال والاعتبار المناسب، والتفاوت في الكلام –في نظره- راجع إلى درجة هذه المطابقة، "وارتفاع شأن الكلام في الحسن والقبول لمطابقته للاعتبار المناسب، وانحطاطه بعدم مطابقته له"[2]، لذلك كان للبلاغة عنده طرفان: "أعلى إليه تنتهي، وهو حد الإعجاز، وما يقرب منه وأسفل منه تبتدئ، وهو ما إذا غير الكلام عنه إلى ما هو دونه التحق عند البلغاء بأصوات الحيوانات، وإن كان صحيح الإعراب ...، وبين طرفين مراتب كثيرة متفاوتة.[3]

إن مطابقة الكلام عند القزويني هي أن يشتمل على خصوصية ما استدعتها الحال: "والحال هو الداعي للمتكلم إلى إيراد الكلام على وجه مخصوص، أي إلى أن يعتبر مع الكلام الذي يؤدي به أصل المعنى خصوصية ما وهي مقتضى الحال".[4]

ويذهب القزويني إلى أن مقتضيات الأحوال مختلفة وعلى المتكلم معرفتها ومراعاتها حتى يكون كلامه بليغا، "ومقتضى الحال مختلف فإن مقامات الكلام متفاوتة، فمقام التنكير يباين مقام

1 - القزويني، الإيضاح، المرجع نفسه، ص: 44.
2 - المرجع نفسه، ص: 43.
3 - المرجع نفسه، ص: 46-47.
4 - خفاجي، محمد عبد المنعم. من شرح الإيضاح للقزويني، المكتبة الأزهرية للتراث، ط3، (دب)،1413هـ، 1993م، ص: 41.

التأخير، ومقام الذكر يباين مقام الحذف، ومقام القصر يباين مقام خلافه، ومقام الفصل يباين مقام الوصل، ومقام الإيجاز يباين مقام الإطناب أو المساواة"[1]، فهذه كلها مقامات يبحث فيها في علم المعاني، او علم التراكيب.

كما أعطى القزويني اعتبارا لحال المخاطب ودرجته في قوله: "وكذا خطاب الذكي يباين خطاب الغبي"[2]، ... "لأن الذكي يناسبه من الاعتبارات اللطيفة والمعاني الدقيقة الخفية ما لا يناسب الغبي"[3].

- مستويات المطابقة عند القزويني:

بعد أن بين القزويني مفهوم المطابقة انتقل إلى الحديث عن علوم البلاغة التي بها يعرف الخصوصيات التي تجعل من الكلام مطابقا فبليغا، قال القزويني: "البلاغة مرجعها إلى الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد، وإلى تميز الكلام الفصيح من غيره".[4]

* **التميز:** وهو تميز الكلام الفصيح من غيره: "... منه ما يتبين في علم متن اللغة، أو التصريف أو النحو، أو يدرك بالحس ..."[5].

* **الاحتراز:** وهو كما يبينه القزويني احتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد، واحتراز عن التعقيد المعنوي.

1 - القزويني، الإيضاح، المرجع نفسه، ج:1، ص: 42-43.
2 - المرجع نفسه، ص: 43.
3 - خفاجي، محمد عبد المنعم. من شرح الإيضاح للقزويني، المرجع نفسه، ص: 43.
4 - المرجع نفسه، ص: 49.
5 - المرجع نفسه، ص: 50.

* **الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى:** وهو ما يهتم به في علم المعاني، وعلم المعاني عند القزويني "علم يعرف به أحوال اللفظ الذي بها يطابق مقتضى الحال"[1]، وله ثمانية أبواب وهي: "أحوال الإسناد الخبري، أحوال المسند إليه، أحوال المسند، أحوال متعلقات الفعل، القصر، الإنشاء، الفصل والوصل، الإيجاز والإطناب والمساوات.

فعلم المعاني علم يهتم بأحوال التركيب، وقد خصه القزويني بالشرح والتطبيق.

* **الاحتراز عن التعقيد المعنوي:** وهو ما يهتم به في علم البيان، وعلم البيان عند القزويني هو علم يعرف به إفراد المعنى الواحد بطريقة مختلفة في وضوح الدلالة عليه".[2]

ومعنى قوله: "إفراد المعنى الواحد أي المدلول عليه بكلام مطابق لمقتضى الحال، فاعتباره علم البيان إنما هو بعد اعتبار علم المعاني...نحو أن زيدا لمضياف، أو لكثير الرماد، فإفادتها لذلك المعنى بدلالة المطابقة كمثال الأول من وظيفة علم المعاني، وأفادتها له بغيرها من وظيفة علم البيان"[3]. فهذا العلم يعني بالمستوى اللفظي، وقد تحدث القزويني في هذا الباب حديثا نظريا وإجرائيا عن التشبيه والمجاز والاستعارة والكناية.

1 - القزويني، الإيضاح، المرجع نفسه ،ص: 52.

2 - المرجع نفسه، ج:2، ص: 4.

3 - خفاجي، محمد عبد المنعم. من شرح الإيضاح للقزويني، المرجع نفسه، ص: 4-5.

أما علم البديع فهو عند القزويني "علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية: تطبيقية على مقتضى الحال ووضوح الدلالة"[1]. والمحسنات البديعية تحسينها عرضي يأتي بعد رعاية المطابقة ومنها: الطباق ومراعاة النظير، والأرصاد والمزاوجة، إلى أخره.

هذه هي نظرية المطابقة التي أساسها عبد القادر الجرجاني ولخصها القزويني

فإذا كانت هذه هي نظرية المطابقة في البلاغة العربية، فكيف فهمها سيد قطب أو كيف طبقها على القرآن الكريم وما هي المستويات التي ارتكز عليها بغية تبيان هذه المطابقة ؟.

3- المطابقة عند سيد قطب:

إن العمل الإبداعي في نظر سيد قطب هو تعبير جميل موحي مصور لتجربة شعورية داخلية، "إنه التعبير عن تجربة شعورية في صورة موحية"[2]، فالعمل الأدبي عند سيد قطب يقوم على طرفين اثنين هما: (الشعور/التعبير)، وهما العنصران اللذان قامت عليهما نظرية المطابقة في البلاغة العربية عند الجرجاني (الكلام النفسي/الكلام اللفظي).

وبهذا يكون العمل الإبداعي عند سيد قطب طرفان: الأول باطن أطلق عليه مصطلح "القيم الشعورية"، والثاني في الظاهر لفظي سماه "القيم التعبيرية"، فالعمل الأدبي عند سيد قطب وحدة قوية جمعت بين القيم الشعورية والقيم التعبيرية حتى أنها بدأت شيئا واحدا لا يمكن فصل أجزائه، غير انه سيستدرك ويقول أن هاتين القيمتين متعاقبتان بالقياس الشعوري، لأن الألفاظ في النطق

1 - القزويني، الإيضاح، المرجع نفسه، ج:2، ص: 4.

2 - قطب، سيد. النقد الأدبي أصوله ومناهجه، دار الشروق، (دط)،(دب)، 1998، ص: 7.

تابعة المعاني في النفس ومتحدثين بالقياس الوجودي الأدبي: العمل الأدبي وحدة مؤلفة من الشعور والتعبير وهي ذات مرحلتين متعاقبتين".

"في الوجود بالقياس الشعوري ولكنها بالقياس الأدبي متحدثان كذا في ظرف الوجود"[1]، أن هذه الوحدة التي يتحدث عنها سيد قطب والتي يراها سمة العمل الأدبي المتميز المؤثر في الآخرين، ناتجة عن قدرة المبدع على مطابقة القيم التعبير به عن القيم الشعورية، "إذا انه في الغالب من حالته يتمتع بقسط أكبر من الوعي والمعاناة والاختيار ليطابق بين القيم الشعورية والقيم التعبيرية ووظيفته، وحينئذ أن يهيئ للألفاظ نظاما ونسقا وجوا يسمح لها بأن تشع أكبر من شحنتها من الصور والظلال والإيقاع..."[2].

وقد أشار سيد قطب إلى أن هذه المطابقة غير تامة في أعمال البشر، لأنه من الصعب على أي كأن يطابق بين شعوره وتعبيره مطابقة تامة، فهي نسبيه ومتفاوتة بين بني البشر " إن رصيد المدخور من الألفاظ وصورها وظلالها وإيقاعها فتطابق الانفعال الشعوري مطابقة تامة أو مقاربة، فلما نستطيع الألفاظ مهما حفلت من الظلال وإيقاع أن تستنفد الطاقة الشعورية".[3]

1 - قطب، سيد. النقد الأدبي أصوله ومناهجه، المرجع نفسه، ص: 7.

2 - الخالدي، صلاح. مدخل إلى ظلال القران، دار عمار للنشر و التوزيع، ط2، (دب)، 2000م، ص: 87.

3 - قطب، سيد. المرجع نفسه، ص: 37.

وقد نبه سيد قطب في نص آخر إلى أنه لا يوجد نص يحقق المطابقة التامة، وإن وجد فلا يكون هذا إلا من صنع الإلهام، "وتناسق التعبير مع الشعور وتطابق الانفعال الشعوري مع شحنات الألفاظ واستنفاذ العبارة اللفظية للطاقة الشعورية هو ما يصف بأنه عمل من صنع الإلهام"[1].

- **مستويات المطابقة عند السيد قطب:**

بعد أن خاض السيد قطب التجربة الإبداعية فالنقدية، انتقل إلى ميدان الدراسات القرآنية، فتفرغ لها تفرغ تاما منتجا بذلك المؤلفات الإعجازية الثلاثة السالفة الذكر.

فتعامل السيد قطب مع القرآن الكريم بنفس المنهج الذي دعا إليه وهو المنهج التأثيري الجمالي، فكان يقينه كبيرا في أن القرآن الكريم معجز في نسقه اللغوي[2]، ولم يخفي سيد قطب إعجابه الكبير بإمام البلاغيين صاحب نظرية النظم، الإمام عبد القاهر الجرجاني، الذي خاض خوضا متميزا في النسق القرآني فكشف عن أسراره وخفاياه.

ومن أجل الوصول إلى السحر الذي أحسه السيد قطب، وآمن به انكب على دراسة النص القرآني فكان تعامله تعاملا مباشرا لا تقيده لا المناهج، ولا النظريات، ولا حتى التفسيرات بل كان يقرا القرآن كما تلقاه العرب الأوائل ليعرف سر سحره وتأثيره على النفس البشرية، لذلك كانت تعليقاته تصف الظاهرة وصفا تأثيريا عاما، وتسجل درجة الفعالة مع الآيات القرآنية، وتفتقر في الكثير من الأحيان إلى التحليلات العلمية.

1 - قطب، سيد. النقد الأدبي أصوله و مناهجه، المرجع نفسه، ص: 37.

2 - المرجع نفسه، ص: 17.

لقد برز من خلال دراسات سيد قطب وتطبيقاته على القرآن الكريم انبهاره وذهوله من قدرة هذا النسق القرآني الكريم على مطابقة معانية مطابقة تامة تشد العقل وتثير في النفس انفعالات شتى، فالقرآن الكريم "... العطاء المتجدد والينبوع الصافي العذب الذي بهر العقول وراح وطمأن القلوب... وكيف لا يكون كذلك وقد راعى الأحوال وقدر الظروف، وسبر أغوار النفوس ... وإذا جاء رغم ذلك مقتضيا الحال مغنيا في كل مقام عن أي مقال ومقال."[1]

لقد ركز سيد قطب في حديثه عن المطابقة في النص القرآني على ثلاثة مستويات استخلصها من صميم النسق القرآني ذاته هي: المستوى اللفظي، المستوى الإيقاعي، المستوى التصويري، فتحدث عن اللفظة القرآنية المتميزة والتي لها خصائص تشعها وهي ملتحمة في هذا النسق، فطابقة معناها وصورته تصويرا دقيق رائعا فمن هذه الخصائص اللفظية ما هي صوتية (الجرس) ومنها ما هي دلالية(الظل).

كما تنبه سيد قطب لعنصر الإيقاع الذي هيمن على النسق القرآني كله، فوجد إما إيقاعيا قويا سريعا، أو إيقاعيا ضعيفا مسترسلا، فربطه بالمعاني والدلالات التي يصاحبها وقد أعطى سيد قطب لظاهرة التصويري في القرآن الكريم قيمة جليلة، فبين كيف استطاع التصوير القرآني العام (تصوير بالوصف وتصوير بالاستعمال البياني) تحقيق معانيه بكيفية تضمن الإمتاع والإقناع معا.

1 - عدلي، سميرة. رزق، محمد. مقتضى الحال مفهومه زوايا في ضوء أسلوب القرآن الكريم.

1-5: أهمية مراعاة مقتضى الحال في إنشاء الخطاب البليغ:

عملية التخاطب في أي مستوى من مستويات الكلام قائمة على عناصر أربعة:

1- المتكلم: وهو منشئ الخطاب.

2- المخاطب: وهو المقصود بالخطاب، والمستقبل له.

وهذان العنصران يتأثران بعدة مؤثرات متمازجة متفاعلة كالبيئة الاجتماعية، ومستوى التدين والتعليم، والتفكير والتربية، والجنس والعمر والمنزلة، وغيرها، وهذه العوامل المؤثرة على اختلافها واختلاف مدى تأثيرها التي هي تشكل النهاية حالي المتكلم والمخاطب المعتبرين أثناء عملية التخاطب.

3- السياق: ويطلق عليه المقام أو الحال وهو مجموعة الظروف والملابسات والعلاقات التي تحيط بالمتكلم والمخاطب أثناء التخاطب وهما جزاء منها.

4- الخطاب وهو النص، أو التعبير الذي أنشاه المتكلم.[1]

وإنشاء الخطاب البليغ يتأثر بأحوال المتكلم والمخاطب وما يحيط بهما من سياق، وليس التأثر يكون بحال المتكلم وحده، وإن كان هو الذي ينشئ الخطاب ولا حال المخاطب وإن كان هو المقصود بالكلام ولا السياق الذي جرت فيه عملية التخاطب، ولكن المتكلم البليغ يراعي هذه الأحوال جميعا.

1 - الشهري، بن ظافر عبد الهادي، استراتجيات الخطاب دار الكتاب الجديدة، ط1، بيروت، 2004، ص: 21، ينظر. الخولي، محمد إبراهيم. مقتضى الحال بين البلاغة القديمة والنقد الحديث، دار البصائر، ط1، القاهرة، 1428 هـ، ص: 20.

والخطاب البليغ يكشف عن شخصية المتكلم، كم انه يكشف عن شخصية المخاطب، ويتبين من خلاله السياق الذي مرت به عملية الخاطب، وكل ذلك مرهون بقدرة المتكلم على رعاية مقتضى الحال، وعلى قدر هذه الرعاية تقاس بلاغة الخطاب والملكة البلاغية لدى المتكلم قوة أو ضعفا، لأن مدار البلاغة وجوهرها هو رعاية الكلام الفصيح لمقتضى الحال، كما جاء في تعريف البلاغة[1]، قال ابن رشيق (456 هـ) في سياق ما يحتاج إليه الشاعر: "و لكن غايته معرفة أغراض المخاطب كائنا من كان ليدخل إليه من بابه وبداخله في ثيابه، فذلك هو سر صناعة الشعر ومغزاه الذي به تفاوت الناس وتفاضلوا، وقد قيل له لكل مقام مقال"[2]، وعقد عبد القاهر الجرجاني 471 هـ فصلا في أن مزايا النظم بحسب المواضع وبحسب المعنى المراد والغرض المقصود[3]، وقال السكاكي 626 هـ: " ارتفاع شأن الكلام في باب الحسن والقبول، وانحطاطه في ذلك بحسب مصادفة الكلام لما يليق به، وهو الذي نسميه:مقتضى الحال".

1 - عكاوي، فوال إنعام. معجم المصطلحات البلاغية، المرجع نفسه، ص: 409. ينظر (تعريف البلاغة).

2 - القيراوني، ابن رشيق. العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحق: محمد محي الدين عبد المجيد، دار الجيل، ط5، بيروت-لبنان، 1401هـ ، ص: 199.

3 - الجرجاني، عبد القاهر. دلائل الإعجاز ، المرجع نفسه، ص: 87.

الفصل الثاني

قصة موسى u

1- مدخل لقصة موسى عليه السلام.

- السور التي ذكرت فيها قصة موسى عليه السلام.

- التعريف بموسى عليه السلام.

2- واقع الناس قبل ميلاد موسى.

3- موسى من الميلاد إلى البعثة.

4- موسى ما بعد البعثة.

1- مدخل لقصة سيدنا موسى عليه السلام:

لم تحظي قصة من قصص أنبياء الله تعالى كل الاهتمام لما حظي لها موسى عليه السلام، فهو أكثر القصص ورودا في القرآن الكريم، فقد ذكر موسى في القرآن مئة وستة وثلاثين مرة، في أربعة وثلاثين سورة[1]، التي احتوت قصصا من فصل أو أكثر من فصور تلك القصة العظيمة، نظرا لما فيها من عبر وعظات ودروس مستفادة التي تنقطع على مدى الأجيال.

1-1- سور القرآن التي وردت فيها قصة موسى عليه السلام:

وردت قصة سيدنا موسى عليه السلام في أربعة وثلاثين سورة، إذ حازت سورة الأعراف على النصيب الأكبر من بين هذه السور، في سورة الأعراف ذكر فيها إحدى وعشرين مرة، ثم تلتها سورة القصص بثماني عشر مرة، ثم سورة طه بسبع عشر مرة، وسورة البقرة بثلاث عشر مرة، ثم سورة يونس والشعراء بثماني مرات لكل منهما، ثم سورة غافر بخمس مرات، وتشترك كل من سورة النساء والمائدة والأنعام وإبراهيم والنمل وهود والإسراء بثلاث مرات لكل منهما، وسورة الكهف والأحقاف والمؤمنون والأحزاب والصفات مرتين لكل منهما، وسورة آل عمران ومريم والأنبياء والحج والفرقان والعنكبوت والسّجدة وفصّلت والشّورى والزّخرف والذّاريات والنّجم والصّف والنّازعات والأعلى.[2]

1 - عبد الباقي، محمد فؤاد. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ط4، دار الفكر، 1994م، ص: 854، ينظر

2 - الخالدي، صلاح عبد الفتاح. القصص القرآني في عرض وقائع وتحليل أحداث، ط1، دار القلم، 1998، ج:2، ص:270، ينظر

1-2- التعريف بموسى عليه السلام:

هو موسى بن عمران بن قاهث بن عازرين بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام[1]، وقيل إن اسم موسى مكون من مقطعين هما "مو" و"شا"، "مو" تعني الماء في اللغة المصرية القديمة، و"شا" تعني الشجر، وقيل سمي بهذا الاسم لأنه وجد حيث ألقته أمه في النهر.[2]

أما عن تاريخ ولادة موسى ووفاته فلا نملك تحديدا دقيقا لهما[3]، إلا المكان الذي دفن فيه موسى الكثيب الأحمر الذي يضم قبر موسى على بعد رمية حجر من الأرض المقدسة، فهو على مشارفها[4]، وهذا القبر والكثيب الأحمر ليس في الأرض المقدسة، وإنما على مشارفها، لأن موسى توفي قبل دخوله الأرض المقدسة.[5]

1-3: واقع الناس قبل ميلاد موسى عليه السلام:

تحدث القرآن عن الأجواء الصعبة التي عاشها بنو إسرائيل تحت وطأة الطاغية فرعون قبل مولد موسى عليه السلام، وذلك في أكثر من موضع[6].

1 - ابن كثير، الإمام الحافظ بن اسماعيل بن كثير الدمشقي. قصص الأنبياء، المكتبة العصرية، (دط)، بيروت، 1427هـ، 2006م، ص: 199.

2 - طبارة عفيف عبد الفتاح. مع الأنبياء في القرآن الكريم، مطبعة دار الكتب ودار العلم للملايين،(دط)، (دب)، (دت)، ص:219.

3 - البار محمد علي. الله جل جلاله والأنبياء عليهم السلام في التوراة والعهد القديم، دار القلم، دار الشامية، ط1، (دب)، 1990م، ص: 187. ينظر.

4 - العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر. فتح الباري، شرح صحيح البخاري، دار الكتب العلمية، ط1،(دب)، 1989م، ج:6، ص: 546.

5 - الخالدي، القصص القرآني، المرجع نفسه، ج:3، ص: 340. ينظر.

6 - عباس، فضل حسن. القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته، دار الفرقان، ط2، عمان، 1992م، ص: 306.

كما في قوله تعالى: "طسم [1] تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ [2] نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ [3] إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ [4] وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ [5]" .[1]

تمادى فرعون في غيِّه، وعلا في الأرض، وأنزل الخسف بطائفته من رعاياه[2]، وقد استكبر وتجبر وجاوز الحد في الطغيان في أرض مصر، فجعل أهلها فرقا وأصنافا في استخدامه وطاعته، يستعبد ويستذل فريقا منهم وهم بنو إسرائيل[3]، إذ عاشوا في ظلاله عيشة البلاء، واصطبروا على الأواء[4]، فأمر فرعون أن يقتل أبناءهم الذكور، ويترك الإناث على قيد الحياة لخدمته وخدمة الأقباط وسبب ذلك أن فرعون رأى في منامه أن نارا عظيمة أقبلت من بيت المقدس وجاءت إلى أرض مصر فأحرقت القبط دون بني إسرائيل، فسأل عن ذلك المنجمين والكهنة، فقالوا له: (إن مولودا يولد في بني إسرائيل يذهب ملكك على يديه ويكون هلاكك بسببه)، فأمر أن يقتل كل ذكر من أولاد بني إسرائيل، وهو من المتجبرين في الأرض، لذلك ادعى الربوبية وأمعن في القتل وإذلال العباد[5]، كانوا بني إسرائيل يتدارسون فيما بينهم ما يأثرون عن إبراهيم عليه السلام أنه سيخرج من ذريته غلام يكون هلاك مصر على يديه، وذلك والله أعلم، وكانت هذه البشارة

1 - سورة القصص،الآيات 1-5.

2 - أحمد جاد المولى، محمد. و مؤلفون آخرون. قصص القرآن، المكتبة التجارية الكبرى، ط10، مصر، 1389هـ،1969م، ص:128.

3 - الصابوني، محمد علي. صفوة التفاسير، دار الفكر، (دط)، بيروت، 1421هـ،2001م، ج:2، ص: 390.

4 - أحمد جاد المولى، محمد. و مؤلفون آخرون.المرجع نفسه، ص:128.

5 - الصابوني، محمد علي. المرجع نفسه، ج: 2، ص: 390.

مشهورة في بني إسرائيل، احترز فرعون كل الاحتراز ألا يوجد موسى، حتى جعل رجالا وقوابل يدورون على الحبالى، ويعلمون ميقات وضعهن، فلا تلد امرأة ذكرا إلا ذبحه أولائك الذباحون من ساعته[1]، فلا يجدون مولودا ذكرا إلا ذبحوه، ففعلوا ذلك، فلا رأوا أن الكبار من بني إسرائيل فتصيروا إلى أن تباشروا من الأعمال والخدمة الذي كانوا يكفونكم[2]، فأمر فرعون بقتل الأنباء عامة وأن يتركوا عاما، فذكروا أن هارون عليه السلام ولد في عام المسامحة، وموسى ولد في عام قتلهم.[3]

2- موسى من الميلاد إلى البعثة:

2-1- موسى في قصر فرعون:

ضاقت أمه به ذرعا، واحترزت من أول ما حبلت و لم يكن يظهر عليها مخايل الحبل، فلما وضعت[4]، استمرت ثلاثة من الشهور حتى إذا نشر الملك عيونه في المدينة يتفحصون الأطفال، ألهم الله أم موسى أن تهيئ له صندوقا تضعه فيه، ثم تلقي به في النيل[5]، ولا تخافي عليه من الهلاك ولا تحزني فإنا سنرده إليك ونجعله رسولا نرسله للطاغية لننجي بني إسرائيل على يديه.[6]

1 - ابن كثير، الإمام الحافظ أبي إسماعيل بن كثير الدمشقي. قصص الأنبياء، المرجع نفسه، ص: 200.

2 -ابو فداء اسماعيل . البداية والنهاية ،تحق :عبد الله بن عبد المحسن تركي ، دار هجرة للطباعة و النشر ، ط1، (دب) 1418 هـ ،1997 م ،ج:1، ص:300.

3 - ابن كثير، الإمام الحافظ أبي إسماعيل بن كثير الدمشقي. المرجع نفسه، ص: 201.

4 - المرجع نفسه، ص: 201.

5 - أحمد جاد المولى، محمد. و مؤلفون آخرون. قصص القرآن، المرجع نفسه، ص: 128-129.

6 - الصابوني، محمد علي. صفوة التفاسير، المرجع نفسه، ج:2، ص: 391.

سارت أخت موسى تقص أثره، وما كان أشد هلعها حينما حمل الصندوق إلى فرعون[1]، حتى صار بين يدي امرأة فرعون[2]، وقالت عسى أن ينفعنا في الكبر أو نتبناه فنجعله لنا ولدا تقر به عيوننا[3].

وسيقت إليه المراضع لعله يقبل على واحدة منهن فيروي غلته ويشبع جوعته ولكنه عاف المراضع[4]، بقي أياما فأهمهم ذلك واشتد عليهم الأمر فخرجوا به يبحثون له عن مرضعة، فرؤوا أخته وقالت هل أدلكم على مرضعة تكفله وترعاه؟[5]، فأخذته أمه فلما أرضعته إلتقم ثديها من دون النساء جميعا.[6]

وصدق وعد الله برده عليها وحفظه من شر فرعون ولما بلغ كمال الرشد ونهاية القوة وتمام العقل والاعتدال[7]، أوحى الله إليه بالنبوة وآتاه العلم والحكمة، عاهد موسى نفسه على أن يكون لهؤلاء المظلومين نصيرا[8]، دخل موسى مدينة من مدن مصر فوجد فيها رجلين يختصمان، أحدهما

1 - أحمد جاد المولى، محمد. و مؤلفون آخرون. قصص القرآن، المرجع نفسه، ص:129.
2 - ابن كثير، قصص الأنبياء، المرجع نفسه، ينظر ص 202.
3 - الصابوني،صفوة التفاسير، المرجع نفسه، ج:2، ص:291.
4 - أحمد جاد المولى، محمد. و مؤلفون آخرون ، المرجع نفسه، ص: 129.
5 - الصابوني ، المرجع نفسه، ج:2، ص: 392.
6 - أحمد جاد المولى، محمد. و مؤلفون آخرون ، المرجع نفسه، ص: 129.
7 - الصابوني ، المرجع نفسه، ج:2، ص:392.
8 - أحمد جاد المولى، محمد. و مؤلفون آخرون ، المرجع نفسه، ص:130.

ممن شايعه على ذمته من بني إسرائيل والثاني من القبط[1]، فاستنصره الذي من شيعته لينصره على الذي هو من عدوه فوكزه موسى في صدره بجمع أصابع كفه. [2]

ثم ندم على فعلته، عزا هذه الفعلة إلى الشيطان وغوايته، فقد كانت من الغضب والغضب من الشيطان. [3]

فإذا صاحبه الإسرائيلي الذي خلصه بالأمس يقاتل قبطيا آخر[4]، إذ الرجل الإسرائيلي يستصرخه ويستغيثه على آخر فعنفه موسى ولامه على كثرة شره ومخاصمته، فرد عليه وقال أتريد أن تقتلني كما قتلت القبطي بالأمس. [5]

فعلم القبطي أن موسى هو قاتل القبطي بالأمس، فانطلق وأخبر فرعون فأمر فرعون بقتل موسى وبعث في طلبه، فجاء رجل كان قد علم بما دبره الملأ من قوم فرعون لموسى وهو رجل يحب موسى ويريد له الخير ، وقيل هو الرجل المؤمن، وقدم له النصيحة بالخروج من مصر، فاستجاب موسى لهذه النصيحة، وهو لا يملك من متاع الدنيا شيئا خرج وحيدا خائفا متجها إلى مدين وقيل كان بينها وبين مصر مسيرة ثمانية أيام. [6]

1 - حوى، سعيد. الأساس في التفسير، ، دار السلام، ط1، (دب)، 1989م، ج:7، ص:4068.

2 - ابن منظور، محمد بن مكرم. لسان العرب، باب الفاء، مارة وكن، دار الفكر، ط3، بيروت، 1994،ج:5، ص:430.

3 - قطب، سيد. ظلال القرآن، دار إحياء التراث العربي، ط7، بيروت، 1971م، ج:6، ص:330.

4 - الصابوني، محمد علي. صفوة التفاسير، المرجع نفسه، ج:2، ص:393.

5 - ابن كثير، قصص الأنبياء، المرجع نفسه، ص:204. ينظر.

6 - البروسوي، إسماعيل حقي. تنوير الأزهار في تفسير روح البيان، إخراج و تحق: محمد علي الصابوني، دار الصابوني، ط1، 1988م، ، ج:3، ص: 144، ينظر.

2-2- موسى في مدين:

توجه إلى مدين، فوجد حشدا من الناس قد تزاحموا على مورد ماء، ورأى من دونهم امرأتين تفصلان أغناهما حتى لا تختلط بأغنام غيرهما في ضعف وذلة إلى أن ينكشف هذا الحشد وينصرف الجمع، فتتقدم للسقيا، فسألهم موسى ما خطبكما فردتا عليه وقالتا لا نسقي حتى ينصرف الرعاة الرجال، تقدم موسى وسقى لهما غنمهما ثم جلس تحت ظل الشجرة طالبا من الله عز وجل ما يأكله من شدة الجوع[1]، فذهبتا إلى أبيهم سريعتين فحدثتاه بما كان من أمر الرجل، فأمر إحداهما أن تدعوه فجاءته تمشي وقالت إن أبي يطلبك ليعوضك عن أجر السقاية لغنمنا، استجاب موسى لدعوته وقص عليه قصته، فقال له نجوت من القوم الظالمين واستأجره لرعاية أغنامه وأن يزوجه إحدى بناته وشرطا أن يكون أجيرا له ثماني سنين لغنمه وإن أردت عشرة سنين فقال موسى هذا عهد بيننا لا نخرج عنه.[2]

2-3- التكليف بالرسالة:

وفى موسى بوعده وأتم الأجلين، وتحركت في صدره نشوة الحنين إلى الوطن، جمع موسى أشتات متاعه، وهيأ رحله، واستعد ليذهب مع زوجه إلى مصر، ثم سار نحو الجنوب حتى طور سيناء حتى ظل الطريق.[3]

1 - أحمد جاد المولى، محمد. ، قصص القرآن، المرجع نفسه، ص: 131، ينظر.

2 - الصابوني، محمد علي. صفوة التفاسير، المرجع نفسه، ج:2، ص: 396، ينظر.

3 - أحمد جاد المولى، محمد. المرجع نفسه، ص: 134، ينظر.

إذ أبصر عن بعد نارا تأجج في جانب الطور، وهو الجبل الغربي منه عن يمينه، ولما قصد موسى إلى تلك النار التي رآها فانتهى إليها، وجدها تأجج في شجرة خضراء، وكل ما لتلك النار من اضطرام وكل ما لخضرة تلك الشجرة في ازدياد. [1]

ناداه الله من الشجرة، وهذه الشجرة في شاطئ وادي طوى، وهذا الشاطئ هو جانب الوادي الأيمن، وهذا الوادي هو جانب جبل الطور الأيمن، وهذه البقعة هي كلها البقعة المباركة[2]، وقد نادي الله موسى مخبرا إياه أنه هو الله الذي يكلمه ويخاطبه، وأمره أن يخلع نعليه تعظيما وتكريما وتوقيرا لتلك البقعة المباركة ولاسيما في تلك الليلة المباركة[3]، ثم خاطبه تعالى كما يشاء قائلا بأنه رب العالمين الذي لا إله إلا هو الذي لا تصلح العبادة وإقامة الصلاة إلا له، ثم أخبره أن هذه الدنيا ليست بدار قرار، وإنما الدار الباقية يوم القيامة. [4]

قفى على ذلك يذكر البراهين التي آتاها موسى، دلالة على نبوته، وتصديقا على رسالته، فبدأ بذكر البراهين التي آتاها موسى، دلالة على نبوته، وتصديقا له على رسالته، فبدأ بذكر العصا التي انقلبت إلى حية تسعى ألقاها من يده، وكان ربه قد سأله عنها استجماعا لقلبه، وتهدئة لروعه في هذا المقام الرهيب وجليل المنافع والمزايا التي لم تكن تدر في خلده عليه السلام[5]، لمحها موسى فخاف وهرب، فسمع نداء العلي العظيم وهو يناديه بأن لا يخاف وأمره بأن يمسكها فاطمأنت

1 - ابن كثير. قصص الأنبياء، المرجع نفسه، ص: 210.

2 - الخالدي، صلاح عبد الفتاح، القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، المرجع نفسه، ص:354.

3 - بيومي، محمد. القصص القرآني، دروس وعبر للدعوة والدعاة، مكتبة الإيمان، ط1، مصر، 1999، ص: 249.

4 - ابن كثير . المرجع نفسه، ص: 210-211.

5 - المراغي، أحمد مصطفى. تفسير المراغي، دار إحياء التراث، ط3، بيروت، 1974م، ج:8، ص:102.

نفسه لنداء الله الكريم، وقرت عينه بنور الحق الواضح، فتوجه ربه بمعجزة أخرى، إذ أمره فأدخل يده في جيبه فإذا هي بيضاء من غير سوء.[1]

وكلفه الله بأن يذهب إلى فرعون أنه جاوز الحد في طغيانه وجبروته[2]، وقد كان تأييد موسى بالمعجزات أمرا ضروريا اقتضته حكمة المولى عز وجل، فهو مرسل إلى الطاغية فرعون، أعتى ملوك الأرض في زمانه، وأشدهم استعبادا للخلق.[3]

فقد طلب موسى من ربه أن يشرح له صدره، ويفتح قلبه ويجعله عليما بشؤون الحق، وأحوال الخلق ويجعله حليما، وأن يوسع صدره ليحتمل الوحي والمشاق ورديء الأخلاق[4]، ثم طلب من ربه ما يزداد به قوة على مجابهة فرعون بإرسال أخيه هارون معه فهو أوضح بيانا، وأطلق لسانا[5]، فقد تخوف موسى وهارون من أن يعجل لهما فرعون بالعقوبة، أو أن يجاوز الحد في الإساءة.[6]

---

1 - أحمد جاد المولى، محمد. قصص القرآن، تحق: محمد علي الشقيري، مكتبة دار الثقافة، (دط)، عمان، 1997م، ص: 117.

2 - حوى، سعيد. الأساس في التفسير، المرجع نفسه، ج:7، ص: 3356.

3 - الفتياني، تيسير المحجوب، الحوار القرآني في قصة موسى عليه السلام، مركز الكتاب الاكاديمي، ط1، الأردن، 2004م، ص: 53.

4 - أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، تفسير أبي السعود، أو ما يسمى بإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ترتيب عبد اللطيف عبد الحمن، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1999م،ج:4، ص: 276.

5 - الصابوني، محمد علي. صفوة التفاسير، المرجع نفسه، ج:2، ص: 398.

6 - حوى، السعيد . المرجع نفسه، ج:7، ص:336.

ذهب موسى وأخوه إلى مصر[1]، أول شيء قاله موسى لفرعون (إني رسول من رب العالمين)، وبذلك طعنه فيما كان يدعيه ويحرص عليه، وبين له شعاره الجامع لكل ما تطمح إليه نفسه ونفوس المضطهدين المستعبدين من التحرر والخلاص والشعور بالأمن والكرامة[2]، فقال له فرعون أما أنت الذي ربيناه في قصرنا؟ وأحسنا إليه، وأنعمنا عليه مدة من الدهر؟![3] ..فجازيتنا على أن ربيناك وقتلت منا نفسا ؟ [4] فقال له موسى أتمن علي بتربيتي وليدا في قصرك محتسبها علي علي نعمه؟ أليس منشؤها ظلمك واستعبادك لبني إسرائيل؟ فإن كنت أسديت إلي نعمة فقد لاقى قومي منك الذل والهوان،فإني أتألم لآلمهم وأشفق لحالهم[5]، فأفهمه أنه عندما قتل القبطي لم يكن كافرا كما زعم، وإنما كان ضالا لم يوح إليه بشيء، وإنما كان ذلك قبل النبوة[6]، وقال له أيضا كيف تنكر يا فرعون علي قتل رجل بغير قصد، وبغير إصرار، وأنت الذي أمرت بتقتيل أبناء الإسرائيليين من غير ذنب ولا جرم اقترفوه وأنت قاصد إلى ذلك الفعل ؟ فأي الفريقين أحق بإلصاق تهمة القتل أنا أم أنت ؟؟؟.

فحينئذ استغلق باب النقاش أمام فرعون عن طريق التمنن وإلصاق التهم بموسى، فعمد إلى طريق آخر واهما أن به نصفته وفيه سلامته، وهو مجادلة موسى في أمر الربوبية[7]، قال فرعون متعاليا

1 - أحمد جاد المولى، محمد. ومؤلفون آخرون. قصص القرآن، المرجع نفسه، ص: 138،.
2 - فودة، عبد الرحيم. قصة بني إسرائيل من معاني القرآن، الدار القومية للطباعة والنشر،(دط)، (دب)، (دت)، ص: 40.
3 - ابن كثير، قصص الأنبياء، المرجع نفسه، ص: 213، ينظر.
4 - الصابوني، محمد علي. صفوة التفاسير، المرجع نفسه، ج:2، ص: 345.
5 - أحمد جاد المولى، محمد. قصص القرآن، المرجع نفسه، ص: 120.
6 - بهجت، أحمد. أنبياء الله، دار الشروق، ط4، (دب)، 1977م، ص: 202.
7 - أحمد جاد المولى، محمد . المرجع نفسه، ص: 120، ينظر.

متعاليا متكبرا: من هو هذا الذي تزعم أنه رب العالمين ؟ هل هناك إله غيري ؟ فأجابه موسى هو خالق السماوات والأرض والمتصرف فيها بالإيجاد والإعدام، وهو الذي خلق كل شيء من بحار وقفار وجبال وأشجار وغير ذلك من المخلوقات البديعية[1]، فتميز فرعون غيظا، وراح يثير سخيمة من حوله، ويبعث دهشتهم وعجبهم واستنكارهم، فقال: ألا تسمعون؟! أسأله عن حقيقة ربه فيذكر أفعاله!! [2]، فأجاب موسى وزاد في البيان والحجة، هو خالقكم وخالق آبائكم الذين كانوا قبلكم، فوجودكم دليل على وجود القادر الحكيم، عدل عن التعريف العام إلى التعريف الخاص لأن دليل الأنفس أقرب من دليل الآفاق، وأوضح عند التأمل ،غضب فرعون ونسب موسى إلى الجنون وبسجنه، وبقيا في نقاش عن أمر الربوبية إلى أن جاء موسى بالمعجزات التي قدمها الله له[3]، له[3]، قائلا هل تستمر في عزمك أن تسجنني إن جئتك بشيء عظيم يدل على أني مرسل من رب العالمين، ويدل على قدرة الرب الذي بعثني إليك ؟ [4]، وبهذا يفتضح أمام قومه، وثانيتهما: أن يسمح له بعرض برهانه والموافقة على طلب موسى، فيطلع القوم على البرهان ويعرفون الحق، فكانت هذه الخطوة خطوة ذكية من موسى في مواجهة فرعون. [5]

3- موسى ما بعد البعثة:

1 - الصابوني، محمد علي. صفوة التفاسير، المرجع نفسه،ج:2، ص: 346.

2 - أحمد جاد المولى، محمد. ومؤلفون آخرون، قصص القرآن، المرجع نفسه، ص: 139.

3 - الصابوني، محمد علي . المرجع نفسه، ج:2، ص: 346، ينظر.

4 - الرازي، فخر الدين، محمد بن عمر. التفسير الكبير، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1990م، م:12، ج:4، ص: 113.

5 - الخالدي، القصص القرآني، المرجع نفسه، ج: 2، ص:421، ينظر.

بعد ان نشر موسى رسالته التي كلفه الله بها، ومن خلال النقاش الـــذي دار بينـــهما، أراد موسى تقديم معجزاته التي أعطاها الله له برهانا لتصديق رسالته.

3-1- تقديم المعجزات:

تلك الحكمة أرادها الله، فأجرى المعجزة على يد نبيه موسى، ألقى موسى عصاه التي أودعها الله القوة الخارقة، فإذا هي ثعبان مبين[1]، ففوجئ فرعون بما رأي، كما فوجئ الملأ من حولـــه بمـــا يرونه عصا خشبية تتحول إلى ثعبان حي مبين، ويد موسى[2] السمراء عندما يخرجها من جيبه تخرج بيضاء ناصعة البياض[3]، وهي كفلقة القمر تتلألأ نورا يبهر الأبصـــار فـــإذا أعادهـــا إلى جيبـــه واستخرجها، رجعت إلى صفتها الأولى[4]، قال فرعون لأشراف قومه الذين كانوا حوله، إن هـــذا لساحر عظيم، بارع في السحر، أراد أن يعمي على قومه تلك المعجزة برميه بالسحر خشـــية أن يتأثروا بما رؤوا[5]، ثم أخذ ينفر القوم من موسى لئلا يصدقوا قوله، وذلك باتهامـــه أنـــه يريـــد أن يخرجهم من أرضهم بما يلقيه بينهم من العداوات، فيفرق جمعهم عن طريق سحره وما يدعيه مـــن النبوة[6]، بعد ذلك ضاقت مسالك القوم أمام فرعون وغشيه هم واكتئاب، ولج به حرصـــه علـــى ملكه وجبروته وبهره سلطان المعجزة، فأنزله من عليائه وصغر شأنه في عين نفسه، فنسي أنه ربهم

1 -. الخالدي، القصص القرآني، المرجع نفسه، ج: 2، ص:421.
2 - احمد جاد المولى،محمد. ومؤلفون آخرون،قصص القرآن، المرجع نفسه، ص :140 .
3 - الخالدي، المرجع نفسه، ج: 2، ص:421.
4 - ابن كثير، قصص الأنبياء، المرجع نفسه، ص: 215.
5 - الصابوني، صفوة التفاسير، المرجع نفسه، ج:2، ص: 347.
6 - الرازي، التفسير الكبير، المرجع نفسه، م :12، ج:23، ص: 114.

الأعلى، ثم عمد إلى التمسح في أذيال قومه، ومداهنتهم فأشركهم في الأمر وتبادل معهم المشـــورة والرأي[1]، أراد بخبثه أن يضمن انحياز الملأ المنتقدين له وعدم تفكيرهم بالسير مع موسى، ولو ثبت لهم أن الحق معه، فهم مهددون بالخطر من قبل دعوة موسى، ومراكزهم ومناصـــبهم في خطـــر مباشر[2]، وكانت هذه المشاورة من فرعون لقومه من أجل اكتسابهم له لا حبا فيهم، فصدقوه القوم أيضا لا حبا فيه بل طمعا في الجاه وخوفا من بطشه، فقال لهم فرعون فما تأمروني؟ فقال أنصـــاره احبسهما وابعث رجالك في المدائن يأتوك بكل ساحر عليم. [3]

3-2- مواجهة موسى مع السحرة:

كان اتهام موسى بالسحر من شقاوة فرعون وكثرة جهله، وقلة عقله، وقد طلب فرعون من موسى أن يواعده إلى وقت معلوم؟؟، ومكان معلوم، وكان هذا من مقاصد موسى، وهو أن يظهر آيات الله وحججه وبراهينه جهرة بحضرة الناس جميعا[4]، فاجتمع السحرة للموعد المحدد وهو وقت وقت الضحى من يوم الزينة وهو الوقت الذي حدده موسى ليظهر الحق ويزهق الباطل.[5]

وكان ما على فرعون إلا إغراء السحرة بالأجر الوفير والمناصب العليا للدولة، فزادهم طمعا وقالوا له فلنا الأجر الأكبر إن كنا من الغالبين.

1 - أحمد جاد المولى، محمد. ومؤلفون آخرون ، المرجع نفسه، ص: 140.

2 - الخالدي، القصص القرآني، المرجع نفسه، ج:3 ،ص: 423، ينظر.

3 - أحمد جاد المولى، محمد. ومؤلفون آخرون، قصص القرآن، المرجع نفسه، ص: 141، ينظر.

4 - ابن كثير، قصص الأنبياء، المرجع نفسه، ص: 308.

5 - الصابوني، صفوة التفاسير، المرجع نفسه، ج:2، ص: 347.

كما قام موسى بتحذير السحرة من يوم المواجهة ليعلم أن موسى على حق وإن هنـــاك الله الواحد الأحد لا شريك له، لكن السحرة لم يستمعوا لكلامه طمعا في مال فرعون وما ســيقدمه لهم من أجر.

جاء اليوم الموعود لالتقاء السحرة بموسى، وتدفقت جماهير غفيرة على ساحة العرض، وجاء السحرة مجتمعين على قلب رجل واحد، وفاوضوا موسى على أن يكون البادئ في الإلقاء[1] فطلب منهم موسى الابتداء في الإلقاء فألقى السحرة حبالهم وعصيهم فخيل لموسى والحاضرين حيـــات تسعى، فعند ذلك سحروا أعينهم وأخافوهم، فخاف موسى من تحول عصيهم إلى حيات ، ولكن الله أوحى له وقال لا تخف إنك على حق وهم على باطل[2] فألقى موسى عصاه فجعلت تلقفهـــا، تبتلعها حية حية، ثم أخذها موسى فإذا هي عصاه في يده كما كانت،فأدرك السحرة أن هذا ليس بسحر، فهم أدرى الناس بعلوم السحر وفنونه، فوقعوا لله ساجدين، ففوجئ فرعون بهـــذا الأمـــر وأنسبهم إلى موسى وأن موسى أستاذهم الذي علمهم السحر وتوعدهم فرعون بالانتقـــام لهـــم والعذاب الشديد. [3] وتصرف معهم فرعون ما تصرف بعد ما اعتصموا بإيمانهم مستقبلين التهديـــد والوعيد بقلب مؤمن المتعلق بربه، المستهين بحياة الأرض كلها ما فيها ومن فيها. [4]

1 - طبارة. الأنبياء في القرآن الكريم، المرجع نفسه، ص: 231، ينظر.

2 - ابن كثير. قصص الأنبياء، المرجع نفسه، ص: 309، ينتظر.

3 - الطبري، محمد بن جرير. قصص الأنبياء، تحق: جمال بدران، الدار المصرية اللبنانية، ط2، 2000م، ص: 262، ينظر.

4 - الخالدي. القصص القرآني، المرجع نفسه، ج:2، ص:479، ينظر.

3-3- المؤامرة على موسى وقومه:

بعدما كان من إيمان السحرة وخذلان فرعون وقومه، وانتصار الحق واندحار الباطل، لم يزد فرعون وقومه إلا كفرا وعنادا وبعدا عن الحق، فأخذ الأمراء والكبراء بتحريض فرعون على أذية موسى وقومه.[1]

فتعالى في بطشه وعنفوانه، واستطار شرره وبهتانه، فقال إن سنقتل أبنائم وسننحي نسائهم، ثم راح يترل بهم صنوف الظلم وألوان الأذى، فضجوا لاجئين إلى موسى ،ليحميهم من أذى الكافر الجبار، فقالوا: يا موسى لقد أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا. فسكن الرسول من ثورتهم وهدئ من روعهم ومناهم الخير والنجاة.[2] وقد على فرعون إرادته قتل موسى لحبه لمصلحة قومه وشعبه، وخوفا من أن يبدل موسى دين قومه بعد أن يغلبهم فيدينون له ويتركون دين الآباء والأجداد، أو أن يظهر في الأرض الفساد بالقتل والفتن.[3]

بعدما كان من اجتماع الملأ والتآمر على قتل موسى، وبعد أن برر لهم فرعون ما سيقدم عليه من قتل موسى، تقدم الرجل المؤمن الذي دافع عن موسى دفاعا مجيدا بأن يتريث في الحكم على قتل موسى[4] وظل الرجل المؤمن يقنع الحاضرين وفرعون بعدم قتل موسى وأنه لا فائدة من قتله فأنكم ستصبحون شركاء لقتل فرعون وتصبحون مثلكم مثل فرعون وهنا من باب تخويفهم

1 - ابن كثير، قصص الأنبياء، المرجع نفسه، ص: 290.

2 - أحمد جاد المولى، محمد. ومؤلفون آخرون، قصص القرآن، المرجع نفسه، ص: 145.

3 - الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم. تفسير الخازن، المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، دار الفكر، بيروت، والجزائري، أبوبكر جابر. أيسر التفسير لكلام العلي الكبير، دار الخير، ط2،(دب) 1419هـ، م:4 ، ج:6 ، ص: 78، والثاني ج:4، ص:527.

4 - كشك، عبد الحميد. المستكبرون والمستضعفون في القرآن الكريم، دار المختار الإسلامي،(دط)، مصر، (دت)، ص: 64.

ليلغي فكرة القتل. فبعد أن كان في الموقف الأول مخاطبا إياهم بالعقلانية والنصح التام مع إبعاد الشبهة عن نفسه نجد أن لهجته قد مالت إلى التحذير من العذاب، والنقمة إن هم كذبوا رسول الله، ولكنه بقي محافظا على لهجته تحبيبية إلى قومه تقربه منهم، واعتبار نفسه واحدا منهم، يهمه أمرهم، ويحرص على مصلحتهم. [1]

ومن خلال هذا الموقف نلاحظ أن الرجل المؤمن قد استطاع أن يصل إلى قلوب الحاضرين وأن يقضي فرعون عن تصدر الكلام، وأحيره أن يخفف من عجرفته وسطوته في كلامه، ثم عاد فرعون ليقطع كلام الرجل وخاصة بعد أن رأى كلام الرجل المؤمن قد وقع في قلوب الناس، فأمر فرعون هامان ببناء له صرحا عاليا وبناءا عظيما يصعد به إلى السماء وهو الوسيلة ليرى من خلاله صدق موسى أو كذبه[2]، والمؤمن في هذه اللحظة يقول: "اتبعوني أهدكم سبيل الرشاد"، وهو يشير إلى أن سبيل فرعون وآله وماهم عليه هو سبيل الغي والفساد، ومن هذه النقطة ابتدأت المواجهة بين الرجل المؤمن الذي يمثل دين موسى والطاغية فرعون أمام الملأ، فنأخذ الرجل ببيان حقيقة هذه الدار الفانية المنقضية، وإن عليهم أن يزهدوا فيها لأجل الآخرة الباقية، ثم شرع في إبطال ما هم عليه وتخويفهم مما يصرون عليه. [3]

بقي فرعون على عناده وكفره إلى أن سلط الله عليه العذاب الأليم ورغم أنواع العذاب والتحذير، إلا أن فرعون بقي على عناده وتعذيبه لبني إسرائيل. عندما اشتدى الأذى ببني إسرائيل

1 - الخالدي، مع قصص السابقين، المرجع نفسه،ج:5، ص:114.

2 - النجار، عبد الوهاب. قصص الأنبياء، مؤسسة الحلبي للطباعة والنشر، (دط)، (دب)، (دت)، ص:186.

3 - حجازي، محمد أحمد. التفسير الواضح، مطبعة المستقبل الكبرى، ط5، (دب)، 1972م، ص 24-25، ابن كثير، البداية والنهاية، م:1 ، ج:1، ص: 236.

بسبب عبادتهم وإيمانهم بموسى، أخذ كليم الله موسى ينهج نهجا آخر في تربية الجماعة المؤمنة معه، فأخذ يقوم بالتعبئة الروحية والنظامية، وهما ضروريتان للأفراد والجماعات وبخاصة قبيل المعارك والمشقات. [1]

رغم العذاب والإهانات التي لقاها بني إسرائيل من فرعون، استمر كليم الله موسى في تبليغ دعوة ربه موصيا قومه بالثبات على طريق الحق والصبر على الشدائد، وهذا يعني أن مرحلة الظلم والاستعباد اقتربت نهايتها وحانت ساعة النصر والفرج. [2]

لقد سلط الله شتى أنواع العذاب على فرعون وقومه بسبب عناده وكفره لمدة دامت خمس سنوات، و لم يؤمن فرعون والبعض من قومه بإله موسى، وبقي على حاله وعناده.

3-4- النجاة مع بني إسرائيل:

قام موسى بواجبه وأدى رسالته بأكمل وجه، لكنه وجد آذانا صما من فرعون وقومه، وازداد طغيان الطاغية، وقدر الله أن ينهي المواجهة بين موسى وفرعون، وأن يوقف بطش فرعون وملئه لبني إسرائيل، كما قدر الله أن تنتهي إقامة بني إسرائيل في مصر، وآن الأوان لخروجهم، فأوحى الله لموسى بالخروج من مصر هو وقومه ليلا، وأن يقودهم إلى ساحل البحر. [3]

خرج موسى ومن معه بسرية تامة خوفا من أن يبصرهم من إتباع فرعون، علم فرعون أن موسى قد خرج هو ومن معه من قومه، وهو الذي يجد في السير ويمعن في الطلب حتى ليوشك أن

1 - قطب، سيد. ظلال القرآن، المرجع نفسه، ج:4، ص:469، ينظر.

2 - الشوكاني، محمد علي بن محمد. فتح القدير، الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، راجعه وعلق عليه هشام البخاري، ونصر عكاوي، المكتبة العصرية، ط1، صيدا، 1997، م11، ج:19، ص: 97، ينظر.

3 - الخالدي، القصص القرآني، المرجع نفسه، ج:3، ص:172،ينظر.

يقترب منهم[1]، لحقوا بهم وقت دخولهم في شروق الشمس وهو طلوعهم حيث أشـــرقت الأرض بالضياء[2]، فكانت خرجتهم هذه هي الأخيرة وكان إخراجهم مقصودا حين كان إخراجا لهم مـــن كل ما هم فيه من النعيم، فلم يعودوا أبدا لهذا النعيم، خاف بني إسرائيل فإنهم لم يبقى لهم الخيـــار فالبحر من أمامهم وفرعون وجنوده من خلفهم، ولكن موسى الذي تلقى الوحي مـــن ربـــه، لا يشك لحظة واحدة في نصر ربه له، وإن كان لا يدري كيف يكون النصر ولا على أي هيئة يجيء، والله هو الذي يوجهه و يرعاه. [3]

وقف الإسرائيليين خائفون حائرون بما سيحل بهم، فأمر الله موسى بـــأن يضـــرب البحـــر بعصاه، فإذا البحر ينفلق فلقتين فدخلها موسى ومن معه من الإسرائيليين، ووقف فرعـــون مـــع جنوده مدهوشا بذلك المشهد الخارق، وذلك الحدث العجيب، هو يرى موسى وقومـــه يعـــبرون الخضم في طريق مكشوف. [4]

فأنجاه الله ومن معه وعبروا إلى الجانب الآخر من البحر، وأصبح البحر فاصلا بين الفريقين، أراد موسى أن يضرب البحر ليعود كما كان، أمره الله تعالى بأن يتركه على حاله[5]، أمر فرعـــون جنوده بالدخول خلفهم وفي وسط الطريق، أمر الله الماء أن يطبق عليهم وإلا وكان الأمر كذلك،

1 - أحمد جاد المولى، محمد. ومؤلفون آخرون، المرجع نفسه، ص: 149، ينظر.

2 - الطبري،جامع البيان عن تآويل آي القرآن بتفسير الطبري،تخر:صدقي جمل العطار ،دار الفكر (دط) (دب) ،1995 م م:11، ص:97.

3 - قطب، السيد. الظلال، المرجع نفسه، ج:6، ص: 212.

4 - المرجع نفسه، ج:6، ص: 213. ينظر.

5 - ابن كثير، قصص الأنبياء، المرجع نفسه، ص: 336، ينظر.

فصارت حال فرعون وجنوده يصارعون الموت وهم يغرقون[1]، وهنا رأى فرعون حاله ونفسه التي لا يستطيع أن ينجي نفسه وهو الذي كان يزعم أنه ربهم الأعلى، استسلم فرعون لواقعه ومصيره، وحاول التمسك فيما ظنه سبب من أسباب النجاة، لكن بعد فوات الأوان، أعلن فرعون إسلامه واستسلامه، كتب الله على فرعون الموت غرقا في البحر، وأخبر المولى أنه سينجي بدنه ليكون عبرة وعظة لمن خلقه، فقذف البحر جثته على الشاطئ وجعلها آية للناس.

كما لم تكن جثة فرعون آية في عصره، وإنما آية لكافة الناس الذين سيأتون من بعده.

1 - الخالدي، القصص القرآني، المرجع نفسه، ج:3، ص: 97. ينظر.

الفصل الثالث

مراعاة مقتضى الحال في قصة موسى u

مراعاة مقتضى الحال في خطاب موسى **u**

1. مراعاة مقتضى الحال في خطاب موسى **u** لفرعون.
2. مراعاة مقتضى الحال في خطاب موسى **u** لأخيه هارون.
3. مراعاة مقتضى الحال في خطاب موسى **u** لقومه (بني إسرائيل).
4. مراعاة مقتضى الحال في خطاب موسى **u** لصاحب مدين.
5. مراعاة مقتضى الحال في خطاب موسى **u** للخضر.

مراعاة مقتضى الحال في خطاب موسى u :

1- مراعاة مقتضى الحال في خطاب موسى u لفرعون.

1-1- تكليف موسى u بالدعوة لفرعون:

إن موسى عليه السلام شخصية لامعة في عالم الدعوة بل هو بطل القصص القرآني، ولعل أحداث قصة موسى عليه السلام مع فرعون تعد أهم حدث من أحداث قصته ككل.

فأول ما بدأت دعوة موسى إلى فرعون كانت بأمر من عند الله لما جلس في الصحراء وعصاه في يمينه، يجلس في ظل الشجرة بعد أن أعياه هشه على غنمه، فتأتي عناية الله، وفضل الله، ووحي الله، يأتيه الأمر الإلهي بالذهاب إلى الطاغية فرعون، الذي عاث في الأرض فساد[1]، يقول تعالى "وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى،إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى"[2] فجعل إذا موسى في مقام يتأسى به تحمل أعباء النبوة وتكاليف الرسالة والصبر على مقاسات الشدائد حتى ينال عند الله الفوز والمقام المحمود[3].

ثم كانت المفاجأة التي لم يكن ينتظرها " فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى، وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى"[4].

1- السيد، غنيم سليمان. قصة موسى مع فرعون مصر في القرآن الكريم، جامعة الأزهر، (دط)، (دب)،(دت)، ص: 12.

2- سورة طه، الآيتان09-10.

3- الزمخشري، الخوارزمي أبي القاسم جار الله. تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجود تأويل، المرجع نفسه، ص:651.

4- سورة طه، الآيات11-13.

كان موسى عليه السلام يتساءل من أنت وما حقيقتك دلني عليك فيقول عز وجل " إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي"[1]

ثم يتحدث الله عز وجل بعد ذلك حديثا شيقا حديث الأنس واللطف، ليزيل الدهشة عنه وليطرد الرعب من نفسه لأنه موقف صعب فألقى الله عليه خطاب المؤانسة والملاطفة حتى لا يستوحش وحتى لا تسيطر عليه الأوهام.

ثم قال تعالى لموسى " وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى"[2]، ليلاطفه ويؤانسه، وفهم موسى ذلك، فلم يقل هي عصا وسكت، وإنما تلذذ بالخطاب زاد في الجواب ليستمر الحوار بينه وبين رب العزة فقال " قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى"[3]، ثم قال الله لموسى عليه السلام " قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى،فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى"[4]، فتفاجأ موسى لأنه لم يصادف هذا الموقف من قبل ففر خائفا من رب العالمين، فيطمئنه الله ويهدئه فيقول له " قَالَ خُذْهَا وَلا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الأُولَى"[5]، فعاد فأخذها فإذا هي عصا ثم قال الله لموسى " وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ"[6]، فهذه آية أخرى من آيات الله –عز وجل- أدخل يدك يدك يا موسى في إبطك ثم أخرجها تخرج بيضاء من غير برص ولا بهق.

1- سورة طه، الآية 14 .
2- سورة طه، الآية 17.
3- سورة طه، الآية 18.
4- سورة طه، الآيتان 19-20.
5- سورة طه، الآية 21.
6- سورة طه، الآية 22.

ثم بدأ التكليف بالدعوة انطلاقا من هاتين الآياتين المعجزتين وبدأت رحلة موسى عليه السلام الشاقة المضنية بأمر من ربه في قوله تعالى " اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى"[1]، فهو هنا لم يأمره بالذهاب إلى حاشية فرعون أو جنوده، أو أرسل إليه رسالة وإنما أمره بالتوجه مباشرة إلى هذا الطاغية ثم أمره أن يقول له قولا ليّنا لعله يتذكر أو يخشى.

وذلك لأن فرعون طغى فلابد أن يقول له قولا ليّنا هو الأسلوب راعي في خطابه الجبارين أمثال فرعون، ذلك لأن الداعية عليه أن يبدأ بالرغبة قبل الرهبة واللين ليوطأ به الوعيد، وذلك لأن الداعية يجب أن يتودد ويتحبب إلى المدعو في قمة طغيانه وهذه نظرة حكيمة الشريعة الإسلامية في مخاطبة المعاندين، فالواجب على الداعية إلى الله أن يكون عنده حكمة الرفق بالدعوة بالكلام الطيب والأسلوب الحسن ليراعي من خلاله في كل مقام الوجه الذي يرتضيه لدعوته.

فعرف موسى عليه السلام بعدها أنه كلف بأمر عظيم وخطب جسيم يحتاج معه إلى احتمال مالا يحتمله إلا ذو جأش رابطة صدر فسيح ، فاستوهب ربه أن يشرح له صدره ويفسح قلبه ويجعله حليما حمولا[2].

فقال عز وجل على لسان موسى عليه السلام " قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي، وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي، وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي، يَفْقَهُوا قَوْلِي"[3]، إن قوله عليه السلام –رب اشرح لي صدري-

1- سورة طه، الآية 24 .

2- الزمخشري، تفسير الكشاف، المرجع نفسه، ص:654.

3- سورة طه، الآيات 25-28.

أي نوّره...ووسعه ليحدث التجاوب مع الدعوة أنسابها وتفاعلا معها[1]، أما أهمية شرح الصدر تكمن في أنها من دواعي حمل آداء الرسالة ولديها أربعة عوامل بدأ بشرح الصدر ثم تيسير الأمر ثم الوسيلة بينه وبين فرعون وهي اللسان والإقناع وذلك في قوله " وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي، يَفْقَهُوا قَوْلِي".

إذا موسى عيه السلام لم يكن طلبه أن يكون أفصح الخلق ولا أخطب الناس وإنما طلب أن يكون كلامه مفهوما لتقوم بذلك الحجة على فرعون وقومه.

1-2- المواجهة بين موسى -عليه السلام- وفرعون في الدعوة:

قصد موسى فرعون بعد أن كلفه الله الرسالة، واقفا أمامه ليعرفه بدعوته ويذكر مطالبه، فأخبر فرعون قائلا " إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ، حقِيقٌ عَلَى أَن لاَّ أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ"[2]، فنلاحظ أن موسى طعنه فيما كان يدعيه ويحرص عليه، وبيّن له شعاره الجامع لكل ما تطمح إليه نفسه ونفوس المضطهدين، المستعبدين من التحرر والخلاص والشعور بالأمن والكرامة[3]، ثم قوله " حقِيقٌ عَلَي أَن لاَّ أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ" أي أنه محقق الرسالة ثابتها ورسالتي قائمة على أني لا أقول إلا الحق[4]، ومن هنا نرى شجاعة

1- عمارة، محمود فودة. فقه الدعوة من قصة موسى عليه السلام، مكتبة الإيمان، ط1، مصر، 1997، ص:68.

2- سورة الأعراف، الآيتان 104-105.

3- فوده، عبد الرحيم. قصة بني إسرائيل من معاني القرآن، المرجع نفسه،ص:40.

4- تأليف لجنة من العلماء، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مطبعة المصحف الشريف،ط 3،(دب)، 1992م، ج:1،ص:1483.

ورباطة الجأش في شخصية موسى فقد طعن في دعوة فرعون أنه الإله المستحق للعبادة، وأن دعوة الحق إلى الله دون غيره.

استخدم موسى في بداية دعوته "الأسلوب التلقيني" وشرح من خلاله دعوته إلى فرعون القضايا والمفاهيم الدعوية التي جاء بها فبيناها بيانا شافيا تطمئن إليه العقول[1].

ففي أسلوب موسى التلقيني إذا رعاية لحال المخاطب الذي هو (فرعون) فاستعماله لهذا الأسلوب باعتباره داعية من دعاة الله والواجب من الداعية أن يكون مراعيا لمقام داعيه بأسلوب لين شارح لحقيقة دعوته راجيا من فرعون قبول هذه الدعوة.

كما استطاع موسى عليه السلام بتوفيق من الله باستخدام عنصر الترغيب والترهيب بعد أن وضح معالم دعوته، فالترغيب يشير إليه قوله تعالى " وَالسَّلامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى"[2]، والترهيب في قوله " إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّى"[3].

فهو بهذين الأسلوبين يحاول مرة أخرى إقناع آل فرعون بحقيقة دعوته ذلك أن طبيعة النفس البشرية تتميز بأنها مفطورة على الخوف والرجاء فهي تتربى بالترغيب كما تتربى بالترهيب وتستجيب للثواب كما تتزعج من العقاب[4]، كما أن هذان الآيتان لفتة قرآنية حكيمة تعلم الدعاة

1- بركة، عبد الغني. أسلوب الدعوة القرآنية، مكتب وهبة، (دط)، القاهرة، 1983م، ص:179.
2- سورة طه،47.
3- سورة طه،48.
4- قطب، محمد. منهج التربية الإسلامية، دار الشروق، (دط)، بيروت، 1983، ص:127.ينظر

كيف يراعون أحوال المخاطبين ويخاطبون المدعو من أقطار نفسه كلها ويدخلون له من بوابة البشارة براعة في الاستهلال تغليبا لمعنى التفاؤل مهما كان المدعوا عاليا من المسرفين[1].

استنكر فرعون باستغراب شديد كلام موسى ربيبه السابق، ولكنه في بادئ الأمر لم يتجه إلى مجادلة موسى في أمر الألوهية والربوبية، وإنما شرع يمن عليه ويبين له فضله عليه في صباه قائلا له " قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ "[2] وهذا يقتضي أن يكون موسى وافيا له، بعيدا عن كل ما يغيضه، ثم ذكره بما اقترفه من قتل الرجل القبطي وأن ما ارتكبه جريمة قتل آثما بعيدا عن رحمة ربه، وليس جديرا به أن يدعي حمل رسالته قائلا[3] " وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ" فالسياق هنا استدعى التوبيخ من طرف فرعون إلى موسى (ع) على فعلته الكبيرة[4]، وحكم عليه بالكفر لمجرد فعلته التي كانت من غير قصد منه فهو هنا يضع موسى في موقف تهويل وتجسيم لفعلته[5].

وهذا التوبيخ جاء ليبطل فرعون الدعوة التي جاء بها موسى عليه السلام فرد عليه موسى قائلا: " وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ"[6]، أي أتمن عليّ" بتربيتي وليدا في قصرك محتسبها عليّ نعمة؟! أليس منشؤها ظلمك واستعبادك لبني اسرائيل؟ فإذا كنت أسديت إليّ نعمة

1- عمارة، محمود فوده. فقه الدعوة من قصة موسى عليه السلام، المرجع نفسه، ص:163.
2- سورة الشعراء، الآية 18.
3- طبارة، عفيف عبد القتاح. مع الأنبياء في القرآن الكريم، المرجع نفسه، ص:227.
4- الزمخشري، تفسير الكشاف، المرجع نفسه، ص:756.
5- المرجع نفسه، ص:757.
6- سورة الشعراء، الآية 22.

فقد لاقى قومي منك الذل والهوان فإني أتألم لآلامهم وأشفق لحالهم[1]، فمن خلال هذا الرد الـــذي أعطاه موسى لفرعون الذي اقتضى أن يكون ملجما يدافع به عن نفسه ثم أخذ التهمة الثانية الـــتي وجهت إليه بقتله للقبط قائلا: " قالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ" وضح له بأنه لم يكن كافرا كما زعم وأنه لم يوح إليه وأن هذا الأمر كان قبل النبوة وكان بغير قصد مني وفررت خوفا منكم ومن خلالها أكرمني ربي ووهبني غلما ومنّ عليّ بالرسالة[2]، " فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ"[3]، ومن هنا نستوحي طعنة أخرى لفرعون وحجة دافعة عليه.

كما نستوحي كذلك أدب موسى في دفاعه عن نفسه فهو لم ينكر وقوع فعلته والتهمة وإنما أنكر دوافعها فهو لم يقتل القبطي إلا عن جهل وغفلة، وهذا كله رعاية وإقتضاء منـــه لظـــروف وأسلوب الحديث مع فرعون[4].

3-1- مجادلة فرعون لموسى -عليه السلام- في أمر الربوبية:

بعد ما رد موسى على فرعون بقوة بيان، وأخبره أنه رسول رب العالمين، شعر فرعون بأنـــه طعن في صميم كبريائه، فقوله "رب العالمين" يعني لفرعون أنه مثل غيره ممن يحكمهم ويظلمهـــم وأنه يخضع كما يخضعون لقوة أعلى من قوته وقوتهم، وأنه بذلك يجب عليه أن يشعر بأنه مسود لا معبود[5]، فحينئذ استغلق باب النقاش أمام فرعون عن طريق التمنن وإلصاق التهم بموسى عمد إلى

1- جاد المولى، قصص القرآن، المرجع نفسه، ص:120.
2- عباس، فضل حسن. القصص القرآني إيحائه ونفحاته، المرجع نفسه، ص:244.
3- سورة الشعراء، الآية 21.
4- الخطيب عبد الكريم، القصص القرآني في منظومه ومفهومه، المرجع نفسه، ص:133.
5- عبد الرحيم، فودة. قصة بني إسرائيل، المرجع نفسه، ص:42.

طريق آخر واهما أن به نصفته وفيه سلامته وهو مجادلة موسى عليه السلام في أمر الربوبية[1]، فشرع يجادل موسى في ربوبية الله ويسأله مستهزئا متكبرا!؟ وما رب العالمين؟؟ وإن سؤاله هنا لم يكن سؤالا بريئا وإنما كان يهزأ، ولقد أجابه موسى إجابة قاطعة جامعة مانعة محكمة. قائلا: «ربي رب السماوات والأرض، ربك ورب آبائك الأولين، فتميز فرعون غيضا، وراح يثير الحقد والضغينة في نفوس من حوله على موسى، ويبعث دهشتهم وعجبهم واستنكارهم قائلا: "أيها القوم ألا تسمعون؟!" موسى يدّعي أن ربه رب السماوات و الأرض ربنا و رب آبائنا الأقدمين، و ها أنا أسأله عن حقيقة ربه فيذكرني بأفعاله[2] فانطلق لسان موسى قائلا:"قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى"[3] فاستمر فرعون في مجادلته قائلا: "من هذا الرب الذي أرسلك إليّ لتدعوني إليه؟" فأجابه بالصفة المنشئة المبدعة المدبرة من صفات الله، فهو الذي أبدع كل شيء وأعطاه ما يليق به من الخواص والمزايا وهداه لمنافعها ومصالحها[4].

ثم مضى موسى بعدها يلفت نظر فرعون إلى آيات الله في الكون، فدار به مع حركة الرياح والمطر والنبات وأوصله مرة ثانية إلى الأرض وهناك أفهمه أن الله خلق الإنسان من الأرض وسيعيده إليها بالموت ويخرجه منها بالبعث والنشور[5]، " الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ لَكُمْ فِيهَا سُبُلا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ

1- جاد المولى، قصص القرآن، المرجع نفسه، ص:120.

2- المرجع نفسه ص :121.

3- سورة الشعراء، الآية 28.

4- الفتياني، تيسير المحجوب، الحوار القرآني في قصة موسى عليه السلام، المرجع نفسه، ص:76.

5- أحمد بهجت، أنبياء الله، المرجع نفسه، ص:204.

فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى"[1] وفي قوله "إن في ذلك لآيات لأولي النهى" في هذه الآية تعريض من موسى بفرعون وقومه، وذم لهم وإخبارهم بأنهم ليسوا من أولي النهى والعقول المتفكرة لأنهم لم يلتفتوا إلى هذه الآيات الكونية الدالة على الوحدانية و لم يتدبروها[2].

إذن موسى u عندما جادله فرعون في أمر الربوبية وراح يسأله ويستهزئ به برب العزة استلفت نظره إلى تدبر آيات الكون وتذكرته بعظمة الله في خلقه فبهذا موسى u اختار الكلمة المناسبة في المكان المناسب لفرعون فكان u مجادل مراعي لكل الظروف.

1-4- سخرية فرعون و تهديده :

كان موسى u قوي الظهر، مسدد الخطى يستمد العون من الله العلي الكبير، وكانت إجاباته على أسئلة فرعون، شديدة الوقع على فرعون وقومه، مما جعل فرعون يتميز غيظا، فثارت نفسه وعجزت حجته، فلجأ إلى حيلة القوة والاحتيال، فترك فرعون نقض أدلة موسى لأنه لا يملك حجة يخاطب بها قومه، ولجأ إلى اتهام موسى بالجنون[3] "قال إنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ"[4]، أي أن رسولكم الذي يزعم أنه أرسل إليكم لمغلوب على عقله، لأنه يقول قولا لا نعرفه ولا نفهمه، ففي ذلك الزمان لا يعرف الناس ربا سوى فرعون، فكلام موسى عندهم غير

1- سورة طه، الآيات 53-55.
2- الخالدي، قصص القرآني، المرجع نفسه، ج:2، ص:411.
3- جاد المولى، قصص القرآن، المرجع نفسه، ص:121. ينظر.
4- سورة الشعراء، الآية 27.

مألوف ولا معروف[1]، ونرى أن فرعون في هذا الموقف نقل القضية عن ميدانها الفكري الواسع إلى ميدان شخصي ضيق، فقد ترك نقض الأدلة، وتحول إلى الكلام عن شخصية موسى وعقليته، وأخذ يسدد إليه الشتائم ليقوم بتشويه شخصيته أمام القوم[2]، فتجاهل موسى عليه السلام اتهام فرعون له بالجنون و لم يحفل بسخريته وقال:" قالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ"[3] ومن هنا نلمح الأدب الرفيع الذي تحلى به موسى بدعوته عند أشد خصومه، فقد تعرض للسب والشتم، ولكنه رفع نفسه الكريمة عن قول السوء والرد عن الشتائم، وقد مضى صادحا بالحق، مما أثار نفس فرعون، فتمرد واستعلى، و هدد بالبطش والعنف، وهذه عادة الجبائر فإنهم إذا عورضوا بشيء وعجزوا عن الحجة اشتغلوا بالعقوبة[4].

فخاطب موسى قائلا: " قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ"[5]، فقد طمع فرعون في إضلال موسى وبأن لا يتخذ إلها غيره، إلا فقد تقرر أنه هو ومن معه على بصيرة من أمره[6]، وأنه هدد نتيجة خوفه من يقظة الشعب وتأثير موسى عليهم، ولأن فرعون يكره الدعاة إلى الحق لأن في ذلك تهديدا لملكه وجبروته، وفيه بيان زيف دعواه بأنه هو الرب المستحق

1- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير. جامع البيان عن تأويل القرآن المعروف بتفسير الطبري،المرجع نفسه، ج:8، ص:19.
2- الخالدي، القصص القرآني، المرجع نفسه، ج:2، ص:417.
3- سورة الشعراء، الآية 28.
4- الفتياني، الحوار القرآني، المرجع نفسه، ص:81.
5- سورة الشعراء، الآية 29.
6- السعدي، عبد الرحمان بن ناصر. تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، تحق: عبد الرحمان بن مقلا اللويحق، دار السلام للنشر،(دط)، (دب) ،(دت)، ج:29، ص:691.

للعبادة[1]، وقد عدل فرعون إلى أمر آخر بعد التهديد، فأمر ببناء صرح ليصعد به إلى السماء وهو الوسيلة لتصفية الحساب بينه وبين رب موسى وأوهم القوم أن الصعود إلى السماء أمرتنا له قدرته، فأصدر أمره إلى وزيره هامان أن يطبخ له الأجر، ويبني له صرحا يأخذ في السماء صعدا حتى ينالها، ويطّلِع إلى إله موسى ثم أتبع ذلك بأنه يظن كذب موسى في ما يدعيه[2]، ولما رأى موسى أن نفس فرعون قد ثارت فاشتد غضبه أعمل عقله واستخدم حنكته حتى يمتص غضب فرعون و غيضه، وفي نفس الوقت حتى يحرجه بين القوم، فقال له على جهة التلطف " قالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ"[3] ، أي هل تستمر في عزمك أن تسجنني إن جئتك بشيء عظيم يدل أني مرسل من رب العالمين ويدل على قدرة الرب الذي بعثني إليك[4]؟ وفي كلام موسى هذا إحراج لفرعون من جهتين اثنتين أولهما: إما أن يرفض فرعون السماح لموسى بعرض البرهان الذي معه ويضعه في السجن، وبهذا يفتضح أمام قومه، وثانيهما: أن يسمح له بعرض برهانه فيطلع القوم على البرهان ويعرفون الحق، فكانت هذه الخطوة ذكية من موسى في مواجهة فرعون[5].

كما أن قول موسى u أو لو جئتك بشيء مبين فهو تحدي منه لفرعون وقومه وإحراجا لهم، فلو رفض فرعون الإصغاء إلى موسى u سيظهر واضحا أنه خائف من حجة موسى فقال له:"قال فأت به إن كنت من الصادقين" فألقى موسى عصاه في ردهة هأدخل يده بجيبه فأخرجها

1- قطب، سيد. ظلال القرآن، المرجع نفسه،ج:6، ص:203، ينظر.
2- النجار، عبد الوهاب. قصص الأنبياء، المرجع نفسه، ص:186.
3- سورة الشعراء، الآية 30.
4- الرازي، فخر الدين محمد بن عمر. التفسير الكبير، المرجع نفسه م:12،ج:4،ص:113.
5- الخالدي، القصص القرآني، المرجع نفسه، ج:2، ص:421.

فإن هي بيضاء للناظرين[1]، قال تعالى " فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاء لِلنَّاظِرِينَ"[2].

فبهذا تحدى موسى فرعون وقومه ويعد أسلوب التحدي من الأساليب الدعوية الهامة التي ستخدمها الداعية لإظهار الحق ودحض الباطل، فموسى تحدى فرعون وسحرته، بما أيده الله من معجزات دل على صدق رسالته، عندما هدده فرعون وخوفه من السجن فطلب موسى تأييدا من عند الله لإثبات صدق نبوته بالمعجزات الخارقة.

كما أن هذا الأسلوب يمرن العقول ويدربها على التفكير[3] من أجل أن تدرك الحقيقة، ففوجئ فرعون بما رأى كما فوجئ الملأ من حوله بما يرونه، عصا خشبية تتحول إلى ثعبان مبين ويد موسى السمراء عندما يخرجها من جيبه تخرج بيضاء ناصعة البياض[4]، ومع هذا كله أراد فرعون تعميه الأنظار، فبادر بشقاوته إلى التكذيب والعناد، فما كان منه إلا أن اتهم موسى بالسحر أولا " قالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ"[5]

أي قال لحاشيته من القادة وأشراف قومه الذين تجمعوا حوله إنّ هذا الرجل لبارع في السحر[6]، ثم آخذ ينفر القوم من موسى لئلا يصدقوا قوله وذلك باتهامه أنه يريد أن يخرجهم من

1- الزحيلي، وهبة. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر،ط2 دمشق، 1418هـ،ج :19، ص:42. ينظر.

2- سورة الشعراء، الآيتان 32-33.

3- محمد أبو فارس، أسس في الدعوة ووسائل نشرها، دار الفرقان، ط1، عمان،1992م،ص:137، ينظر.

4- الخالدي، القصص القرآني،المرجع نفسه، ج:2 ،ص:241.

5- سورة الشعراء، الآية 34

6- الزحيلي.التفسير المنير، المرجع نفسه.م:11 ،ج:19 ،ص:144.

أرضهم بما يلقيه بينهم من العداوات، فيفرق جمعهم عن طريق سحره، و ما يدّعيه من النبوة[1]، " يرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ "[2]، ونرى هنا أن فرعون لّما هاله أمر موسى وما جاء به، وشعر بضعفه، وهوانه لجأ إلى ملاطفة قومه واستمالة قلوبهم وعواطفهم، ممّا يدل على أن قد خارق قواه، فحط منكبيه كبرياء الربوبية، وارتعدت فرائصه حتى جعل نفسه مأمورا بعد أن كان يدعي كونه أمرا، بل إلها قادرا، وليس هذا فحسب بل أراد فرعون شيئا أبعد من ذالك أراد بخبثه أن يضمن إنحياز الملأ المتنفذين له، وعدم تفكيرهم بالسير مع موسى، ولو ثبت لهم أن الحق معه، فهم مهددون بالخطر من قبل دعوة موسى، ومراكزهم ومناصبهم في خطر مباشر، فإن سكتوا عن موسى وتركوه يتصل بالناس ويدعوهم إلى دينه فسوف يقضي عليهم ويفوت عليهم مصالحهم ومكاسبهم[3]، وهذه الملاطفة المصطنعة تظهر تنازل فرعون مرغما وتحت ضغط الحق الزاحف، فهو من اليوم رهن إشارتهم ولرأيهم[4]، وذالك بعد أن كان يردد على مسامعهم فيقول لهم:" ...مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ "[5]

وقد لجأ فرعون إلى هذه الملاطفة استمالة لعقول كبراء القوم بعد أن سدّت أمامه أبواب والحيل والمكائد تجاه موسى ودعوته، فشاور قومه لا حبا في رأيهم، وإنما بحث عن مخرج له من أزمته، وقد وجد عندهم ضالته، فقد صدّقوه بما يقول لا حبا فيه، وإنما طمعا في الجاه والمال

1- الرازي فخر الدين محمد بن عمر، التفسير الكبير، المرجع نفسه، ص:114.

2- سورة الشعراء، الآية 35

3- الخالدي. القصص القرآني، المرجع نفسه، ج:3 ،ص:423 .ينظر

4- عماره، محمود فودة. فقه الدعوة من قصة موسى، المرجع نفسه، ص:50.

5- سورة غافر، الآية 29

والسلطان وخوفا من البطش والتنكيل، وقد صدّق القوم فرعون ونزلوا على رغبته، ويدل على ذالك قولهم لموسى وهارون " قالُواْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاء فِي الأَرْضِ وَمَا نَ حْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ"[1] وزيادة على ذالك أشاروا على فرعون إرجاء موسى وهارون حتى يتم إحضار كبار السحرة في مملكة فرعون حتى يبارزوا موسى ويغلبوه " قَالُوا أَرْجِهِ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ"[2]، وكان اتهام موسى بالسحر من شقاوة فرعون وكثرة جهله وقلة عقله، وقد طلب فرعون من موسى أن يواعده إلى وقت معلوم وكان معلوم، وكان هذا من مقاصد موسى، وهو أن يظهر آيات الله وحججه وبراهينه جهرة بحضرة الناس جميعا[3] وهذا ما لم يكن متوافرا لديه من قبل، فاتفق الطرفان على ذالك (وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى، قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى، فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لّا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلا أَنتَ مَكَانًا سُوًى، قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى)[4] فحدد لهم موعدا هو يوم الزينة، وقد ذكر البعض أنه أحد أعبادهم التي يجتمعون فيها وقيل هو يوم عاشوراء، ويوم النيرون أو يوم شم النسيم أو يوم وفاء النيل.[5]

1- سورة يونس، الآية 78

2- سورة الشعراء، الآيتان 36-37.

3- ابن كثير، قصص الأنبياء، المرجع نفسه، ص: 308.

4- سورة طه، الآيات 56-59.

5-البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر، أنوار التنوير وأسرار التأويل، المرجع نفسه، م:2، ج:4، ص:25. وابن الملقف سراج الدين أبو جعفر، عمر بن الحسر، علاء بن أحمد، النجوي الأنصاري الشافعي، تفسير غريب القرآن، ص:246.ينظر

وقد اختار موسى موعدا دقيقا وهو وقت الضحى من يوم الزينة، أي أوّل النهار في وقت اشتداد الشمس ليكون الحق أظهر وأجلى، و لم يطلب ذلك ليلا، لئلا يختلط الأمر على الناس، وحتى يكون ذالك أدعى لكثرة الحضور والإقبال[1]

1-5- لقاء موسى بالسحرة وإيمانهم:

جاء اليوم الموعود لالتقاء السحرة بموسى، وتدفقت جماهير غفيرة على ساحة العرض، وجاء السحرة مجتمعين على قلب رجل واحد، وفاوضوا موسى على أن يكون البادئ في الإلقاء[2] (قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى)[3] وجاء تخيير السحرة لموسى بابتداء الإلقاء أو تأخيره في إشارة منهم إلى موسى و الحاضرين أنهم لا يبالون بما جاء به موسى، وأنهم على يقين من النصر سواء أكان موسى أول من يلقي أو المتأخر في ذالك،(قالَ بَلْ أَلْقُوا)[4]، فطلب منهم موسى الابتداء في الإلقاء فألقى السحرة حبالهم وعصيهم فخيّل لموسى والحاضرين أنها حيات تسعى، فعند ذالك سحروا أعينهم وأخافوهم وهم يقولون: (عِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ)[5] (فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى)[6] أي أضمر في نفسه خوفا ضنا منها أنها تقصده[7] والوجس حالة تحصل من النفس بعد الهاجس، لأن الهاجس مبتدأ التفكير ثم يكون الواجس، وهذا الواجس إنما مجبولة عليه

1- بيومي، محمد. القصص القرآني، دروس وعبر للدعوة والدعاة، المرجع نفسه، ص: 257.
2- طبارة، الأنبياء في القرآن الكريم، المرجع نفسه، ص: 231، ينظر.
3- سورة طه، الآية 65.
4- سورة طه، الآية 66.
5- سورة الشعراء، الآية 44.
6- سورة طه، الآية 67.
7- النفيسي، عبد الله بن أحمد بن محمود. تفسير القرآن الجليل المسمى بمدارك التنزيل، وحقائق التأويل، المكتبة الأموية، (دط)، دمشق، (دت)، ج:3، ص:201.

النفس البشرية، وقيل إنما أضمر خوفا لخاطر في نفسه عندما خيّل إليه أن عصى السحرة تحولت إلى حيات من أن الناس شك فلا يتبعوه[1]، فأوحى الله إلى موسى أن لا تخف، إنك على حق، والحق منتصر على الباطل فألقى موسى عصاه، فجعلت تلقفها، تبتلعها حية حية ثم أخذها موسى فإذا هي عصاه في يده كما كانت، فأدرك السحرة أن هذا ليس بسحر فهم أدرى الناس بعلوم السحر وفنونه[2]، وأيقنوا أنه لو كان ساحرا لما غلبهم فوقعوا الله ساجدين (وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ، قَالُواْ آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ، رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ)[3]

* بعد استقراء الخطاب الذي دار بين موسى عليه السلام وفرعون تستوقفنا بعض النقاط التي رعيّ فيها المقام:

1- إتباعه عليه الأسلوب التلقيني في بداية دعوته بشرح معالم دعوته التي جاء بها بطريقة لينة مرنة وفي هذه الطريقة رعاية منه لمخاطبة فرعون كما أمره الله.

2- إتباعه- عليه السلام- أسلوب الترغيب والترهيب بعد أن أوضح معالم دعوته فهو بهذين الأسلوبين يقنع فرعون بما جاء به، ذلك أنه على الداعبة أن يراعي مخاطبه من بوابة البشارة وبوابة النذارة معا، أي بالترغيب والترهيب.

3- لجوء فرعون لأسلوب السخرية والتهديد إلى موسى فاضطر - عليه السلام- لرد هذه السخرية والتهم التي وجهت إليه، وذلك اقتضاءا منه الأسلوب الحوار مع فرعون.

1- الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل. مفردات القرآن الكريم ،المرجع نفسه ، ص: 513.
2- الطبري، محمد بن جرير. قصص الأنبياء، المرجع نفسه ، ص: 262.
3- سورة الأعراف، الآيات120-122.

4- المجادلة في أمر الربوبية أدت إلى تصاعد الخطاب بين موسى وفرعون واستلفاته عليه السلام لفرعون إلى التدبير في آيات الكون دليل على اختياره الأسلوب الأمثل في الرد على فرعون.

5-رغم اتهام فرعون موسى بالسحر والجنون إلاّ أنه عليه السلام بقي مراعيا لظروف الأدب الرفيع والتعقل.

6- استمراره -عليه السلام- في إقناع فرعون على جهة التلطف محاول بذالك تحدي وإحراج فرعون أمام ملئه.

* فهو بهذا كله راع المقال في كل مقام وهذا دليل على أن موسى –عليه السلام- بذل قصار جهده في إقناع فرعون وملئه بالدعوة التي جاء بها.

2- مراعاة مقتضى الحال في خطاب موسى لأخيه هارون :

- التفت السياق القرآني إلى موسى وهارون، وماذا كان من أمر بني إسرائيل معهما لقد مات فرعون مصر غرقا أمام عيون المصريين وبني إسرائيل ورغم موته، فقد ظل أثره باقي في نفوس المصريين وبني إسرائيل من الصعب على سنوات القهر الطويلة والذل المكثف أن تمر على النفوس مرّ الكرام[1].

- انتهت المرحلة الأولى من مهمة موسى –عليه السلام- وهي تخليص بني إسرائيل من حياة الذل والتعذيب على يد فرعون وجنوده والسير بهم إلى الديار المقدسة، لكن القوم لم يكونوا على استعداد للمهمة الكبرى، مهمة الخلافة في الأرض بدين الله وكان الاختيار الأول أكبر دليل على

1- أحمد ، بهجت . أنبياء الله، المرجع نفسه، ص: 239، ينظر.

ذلك فما أن أروا قوما يعبدون صنما، حتى اهتزت عقيدة التوحيد في نفوسهم وطلبوا من موسى أن يجعل لهم وثنا يعبدوه، فكان لا بد من رسالة مفصلة لتربية هذه الأمة وإعدادها لما هم مقبلون عليه من أجل هذه الرسالة كانت مواعدة الله لعبده موسى ليلقاه، وكانت هذه المواعدة إعداد موسى ليتهيأ للموقف الهائل العظيم[1]، يقول تعالى في سورة الأعراف (وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلاَ تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ)[2] أي قال موسى لأخيه اخلفني وكن خليفة عني وهو الذي يتولى عمل غيره، وقد جمع له في وصيته ملاك سياسة الأمة بقوله "وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين" لأن سياسة الأمة تدور حول الإصلاح[3].

أما قوله "ولا تتبع سبيل المفسدين" تحذير من الفساد بأبلغ صيغة لأنها جامعة بين نهي والنهي عن الفعل تنصرف بإتباع سبيل المفسدين.

وقد أجرى الله على لسان موسى أو علمه ما يقتضي أن في رعيته هارون المفسدين، وأنه يوشك إن سلكوا سبيل الفساد أن يسايرهم عليه يعلم في نفس هارون من اللين في السياسة ولاحتياط حدوث العصيان في قومه[4].

ثم قص الله تبارك وتعالى علينا ماذا كان من أمر موسى حين ذهب لميقات ربه، كان موسى بصومه، أربعين ليلة، يقترب من ربه أكثر...وكان موسى بتكليم الله له يزداد حبا في ربه أكثر

1- أحمد، بهجت. أنبياء الله، المرجع نفسه، ص: 240، ينظر.
2- سورة الأعراف، الآية 142.
3- ابن عاشور، التحرير والتنوير، المرجع نفسه، ص: 88.
4- المرجع نفسه، ص: 89.

ونحن لا نعرف أي مشاعر كانت تجيش في قلبه عليه الصلاة والسلام حين يسأل ربه الرؤية[1] قال تعالى في سورة الأعراف (وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ)[2] وهكذا بإندفاع العاشقين الكبار سأل موسى ربه ما سأل وجاءه رد الحق عز جل (قال لن تراني)[3]

ولو أن الله تبارك وتعالى قالها و لم يزد عليها شيئا، لكان هذا عدلا منه سبحانه، غير أن يبرره الحب ولهذا أدركت رحمة الله تعالى موسى[4] فأفهمه أنه لن يراه، لأن أحد من الخلق لا يصمد لنور الله فأمره أن ينظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف يراه قال تعالى:(وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا)[5] .

وانتهت بعدها ميقات موسى مع ربه تعالى وعاد غضبا أسفا إلى قومه، و لم يكن في الوجود كله إنسان في مثل رضاه لكنه يعلم من ربه أنباء تسوء فينقلب إلى قومه غضبان أسفا[6].

ثم انحدر موسى من قمة الجبل وهو يحمل ألواح التوراة، قلبه يغلي بالغضب والأسف، نستطيع أن نتخيل انفعال موسى وثورته وهو يحث خطاه نحو قومه.

و لم يكد موسى يغادر قومه إلى ميقات ربه.... حتى وقعت فتنة السامري (بدون ذكر تفصيل هذه الفتنة)، وكان موسى عليه السلام يعرف أنه شخصية قوية، استطاع أن يضع حد لهذه الفتنة دون إراقة الدماء[7].

1- أحمد بهجت، أنبياء الله، المرجع نفسه، ص: 244.
2- سورة الأعراف، الآية 143.
3- سورة الأعراف، الآية 143.
4- أحمد، بهجت. أنبياء الله، المرجع نفسه، ص: 244.
5- سورة الأعراف، الآية 143.
6- أحمد، بهجت. المرجع نفسه، ص: 246.
7- المرجع نفسه، ص: 247.

واتجه موسى بعد انقضاء هذه الفتنة نحو هارون أخيه وألقى ألواح التوراة من يده على الأرض كان إعصار الغضب داخل موسى يتحكم فيه الآن تماما.

مد موسى وأمسك هارون من شعر رأسه ولحيته وشده نحوه وهو يرتعش، قال موسى(قالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا، ألاَّ تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي)[1].

إن موسى يتساءل هل عصى هارون أمره، كيف سكت على هذه الفتنة؟ كيف طاوعهم على البقاء معهم و لم يخرج ويتركهم ويتبرأ منهم. إن الساكت على الخطأ مشترك فيه بشكل ما، زاد الصمت عمقا بعد جملة موسى الغاضبة وتحدث هارون إلى موسى، رجا منه أن يترك لحيته ورأسه وهو يذكره بالأم ولا يذكره بالأب ليكون ذالك أدعى لاستشارة مشاعر الحنو في نفسه[2]، قال تعالى (قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرَأْسِي)[3] أفهمه أن الأمر ليس فيه عصيان له، إنما خشي أن يتركهم ويمضي، فيسأله موسى كيف لم يبق فيهم وقد تركه مسئولا عنهم، وخشى لو قاومهم بعنف أن يثير بينهم قتالا فيسأله موسى كيف فرق بينهم و لم ينتظر عودته.

فقال له: (إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي)[4] أفهم هارون أخاه أخاه موسى برفق ولين أن القوم استضعفوا، وكادوا يقتلونه حين قاومهم، رجا منه أن يترك رأسه ولحيته حتى لا يشمت به الأعداء، ويستخف به القوم زيادة على استخفافهم به، أفهمه أنه ليس

1- سورة طه، الآيتان 92، 93.
2- أحمد بهجت، أنبياء الله، المرجع نفسه، ص: 249.
3- سورة طه، الآية 94.
4- سورة طه، الآية 94.

ظالما مثلهم حين سكت على ظلمهم[1] قال تعالى:(قالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي فَلاَ تُشْمِتْ بِيَ الأَعْدَاء وَلاَ تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)[2] فندم موسى بعد ذلك على ما صنع بأخيه، وهو غير مستحق لذلك[3] فقال:(قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)[4] كما أدرك موسى أنه ظلم هارون في غضبه الذي أشعلته غيرته على الله تعالى وحرصه على حق...أدرك أن هارون تصرف أفضل تصرف ممكن في هذه الظروف، ترك رأسه ولحيته واستغفر الله ولأخيه[5].

و نذكر في آخر ما قيل في خطاب موسى عليه السلام لأخيه هارون و إلتفات السياق القرآني له بعض النقاط التي جاءت مقتضية و مطابقة لظروف المقام:

1/ إن طلب موسى عليه السلام من آخيه هارون أن يخلفه في قومه عن طريقه الصلاح و عدم إتباع أمر المفسدين هذا إقتضاء منه لصلاح حال الآمة.

2/ طلب (عليه السلام) اللين في سياسته و ذالك لجلب المفسدين في صفه و أن يصرف عنهم طريق الفساد.

1- أحمد بهجت، أنبياء الله، المرجع نفسه، ص: 250.

2- سورة الأعراف، الآية 150.

3- السعدي، عبد الرحمان بن ناصر. تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان المرجع نفسه، ص: 596.

4- سورة الأعراف، الآية 151.

5- أحمد، بهجت . المرجع نفسه، ص: 251.

3/ إن غضبه (عليه السلام) بعد انقضاء ميقاته مع ربه و عودته غضبا أسفا إلى قومه استدعى منه أن يفجر نار هذا الغضب على أخيه هارون مخاطبه بجملة غاضبة أفرغ فنها شحنة غضبه.

4/ اضطرار هارون على أن يفهم آخاه موسى برفق و لين في جملة يحن من خلالها موسى إلى أخوته مع هارون ليمتص غضبه.

5/ طلبه (عليه السلام) العفو و المغفرة من رب العالمين بعد إدراكه خطأه مع أخيه هارون.

و هذا كله اقتضاء منه لظروف و ملابسات لحوار في خطابه مع أخيه هارون.

3/ مراعاة مقتضي الحال في خطاب موسى عليه السلام لقومه (بني إسرائيل):

مر بنو إسرائيل بمحنة عظيمة في زمن فرعون الذي كان يقتل أبناءهم و يستحيي نساءهم، فأرسل الله عز و جل موسى –عليه السلام- لتخليصهم من نير الاستعباد، فأمرهم بالثبات والاستعانة بالله و الصبر على بلاء فرعون، و زرع الأمل في قلوبهم بأنهم سوف يرثون الأرض فهي ملك الله تعالى يورثها لمن يشاء من عباده، و في ذلك يقول تعالى (قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُواْ إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ)[1] فدعاء موسى لقومه بأن يستعينوا بالصبر جاء مقتضيا لحال قومه بعد قول فرعون لهم بأنه " سيقتل أبناءهم" فجزعوا منه و

1- سورة الأعراف، الآية 128.

تضجروا لما أنبأهم به[1] فجاء موسى عليه السلام ليطمئن قلوبهم فداعاهم إلى الصبر و الصلاة عن طريق أسلوب الترغيب رعاية منه لقومه و طريقة مخاطبته لهم.

كما أن على الداعية أن يزرع الأمل في قلوب المدعوين بأن يبين لهم أن النصر لمن عبد الله ونصر دينه طال الأمد أم قصر، فموسى يبشر قومه بأنهم سوف يرثون الأرض من بعد فرعون ودل قوله تعالى (وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ)[2].

إن كل من اتقى الله –عز وجل- و خافه أعانه الله عز و جل في الدنيا و الآخرة[3] .

وقد حقق الله –عز وجل- ما وعده موسى لقومه فأغرق فرعون وملئه، و نجى موسى وقومه، كما أنه عليه السلام كان يربيهم ويحثهم على الشكر فيذكرهم بنعم الله – عز وجل- عليهم وإحسانه لهم ويبين لهم عاقبة من شكر الله على آلائه ونعمائه فإنه يزيده من فضله ويسبغ عليه المزيد من نعمه، وحذرهم من عاقبة الجحود وكفران النعم بإزالتها ومحق البركة منها[4] يقول تعالى على لسان موسى عليه السلام (وإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ).[5] فموسى –عليه السلام- يستلفت نظر قومه من خلال السياق في هذه الآية إلى ضرورة شكر الله عز وجل وذالك لبقاء النعم وعدم زوالها.

1- الزمخشري. تفسير الكشاف، المرجع نفسه، ج:9 ، ص:380.
2- سورة الأعراف، الآية 128.
3- الرازي،.التفسير الكبير، المرجع نفسه، ج:8 ، ص: 65.
4- الماروي. تفسير الماروي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1992،م، ج:3، ص:123، ينظر.
5- سورة إبراهيم، الآية 7.

لكن اجتاحت بني إسرائيل موجة من الكبر والغرور فجحدوا بنعم الله –سبحانه وتعالى- ونزعوا إلى الشر والمفسدة وعاندوا وتمردوا ومواقفهم الآتية تدل على ذالك وهي:

*** الموقف الأول:**

طلبهم من موسى أن يجعل لهم أصناما آلهة تأسيا بقوم رأوهم عاكفين على صنم لهم بعد ما جاوزوا البحر كما ورد في قوله تعالى (وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُواْ يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ، إِنَّ هَؤُلاء مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ).[1]

فطلبهم هذا يشير إلى عدم احترامهم لنبيهم الذي وقف طويلا معهم لتخليصهم من ظلم فرعون، كما أنه يشير إلى تغيير جوهري في موقفهم نحو العقيدة وفي نظريتهم للأشياء فهؤلاء كانوا قد وقفوا ضد فرعون تحت شعار التوحيد و لكن ها هم الآن ور وصولهم إلى بر الأمان يرمون بالتوحيد عرض الحائط و يظهرون رغبة في الوثنية التي انصاع إليها فرعون وخاصته[2].

*** الموقف الثاني:**

استغلال قوم موسى فترة غيابه عنهم فاتخذوا العجل إلـــها، مما أثار غضب موسى عندما رجع إليهم، وألقى ما في يده من الألواح، وأخذ يوبخ قومه ويؤدبهم ثم يوجه اللوم لأخيه،

1- سورة الأعراف، الآيات 138-139.

2- زاهية، الدحاني. القصص القرآني، دار التقريب، (دط)، بيروت، 1993م، ص: 153.

والعقاب للسامري الذي صنع لهم العجل، وأبان لقومه حقيقة ذلك الصنم الذي اتخذوه إلـــها لهم فإنه لا يملك لنفسه شيئا[1].

ولقد خبرنا القرآن بذلك: (وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَى، قَالَ هُمْ أُولاء عَلَـــى أَثَـــرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى، قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ، فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي)[2]

إن غضب موسى –عليه السلام- هنا كان في محله بعد استغلال قومه فترة غيابه و مخالفـــة أوامره حيث قال لهم موبخا لفعلهم (يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا)[3] فهو هنا غضب للحق و هو محق فيما فعل، فإيمان موسى بالله هو الذي جعله يغضب غضبا شديدا عنـــدما رأى قومـــه عاكفين على عبادة العجل.

*** الموقف الثالث:**

موقفهم من موسى حينما طلب منهم أن يذبحوا بقرة فقد تشددوا في أوصافهم فشـــدد الله عليهم، يقول الله تعالى في ذالك (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُواْ بَقَـــرَةً قَـــالُواْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ، قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّـــهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ فَارِضٌ وَلاَ بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُواْ مَا تُؤْمَرُونَ، قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَـــا

1- قطب، سيد. في ظلال القرآن، المرجع نفسه، ج:4، ص: 2747.

2- سورة طه، الآيات 83-86.

3- اللويحق، عبد الرحمن بن مقلا. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المرجع نفسه، ج:16، ص: 595.

مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاء فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ، قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاء اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ، قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ ذَلُولٌ تُثِيرُ الأَرْضَ وَلاَ تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لاَّ شِيَةَ فِيهَا قَالُواْ الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ)[1]

تبين هذه الآيات حاجة الدعاة إلى الحلم، فالحلم خلق كريم لا يمكن تجاهله و التجاوز عنه، فهو أساس النجاح، فموسى عليه السلام تحلم عن قومه بالرغم من عنادهم و تعنتهم و كثرة سؤالهم، فهو بذالك يتعامل مع قومه بطريق اللين الذي يراعي من خلاله كل داعية القوم الذي يدعوه.

*** الموقف الرابع:**

كراهيتهم لتحمل التكاليف و نكث العهود و نقض المواثيق، فقد أبوا قبول التكاليف التي تضمنتها الألواح التي جاء بها موسى من عند الله –عز و جل- فرأوا أنها تكاليف شاقة لا يستطيعون حملها فرفع الله الجبل فوق رؤوسهم و قيل لهم: "إن قبلتموها بما فيها و إلا ألقيته عليكم لما نظروا إليه فوقهم خروا سجدا و أعلنوا قبولهم بها، و لكنهم ما إن زال عنهم الخطر حتى أعلنوا نكثهم للعهد و إعراضهم عن التوراة"[2].

يقول تعالى ذالك: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ، ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنتُم مِّنَ

1- سورة البقرة، الآيات 67-71.

2- الصابوني، مختصر تفسير ابن كثير. المرجع نفسه، ج:1، ص:73، ينظر.

الْخَاسِرِينَ)[1] فهذه الآيات تبين لنا أن المعصية سبب لنزول العقاب إلا هي، فقوم موسى أبوا تحمل التكاليف التي تضمنتها الألواح، فهددهم بوقوع الجبل على رؤوسهم، كما تبين أهمية استخدام أسلوب الترهيب في المجال الدعوي لماله من تأثير في نفوس المدعوين.

*** موقفهم الخامس:**

رفضهم الجهاد في سبيل الله، فقد اعتذر بنو إسرائيل إلى نبيهم موسى –عليه السلام- عن الجهاد في سبيل الله، لما دعاهم إليه بعد أن ذكرهم بنعم الله عليهم من أجل ترغيبهم في دخول الأرض المقدسة كي لا يرتدوا على أدبارهم باختلاق الأعذار التي تُعفيهم من هذه المسؤولية، فهم ضعفاء لا يستطيعون مجابهة عدوهم الجبار، و قالوا لموسى بأن يقاتل هو و ربه، فعاقبهم الله، -عز و جل- أن حرم عليهم دخول الأرض المقدسة جزاء وفاقا على ما بدا فيهم من ذل و صغار، و كتب عليهم التيه في الأرض أربعين سنة[2].

و قد بين القرآن الكريم ذالك في قوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ (20) يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ (21) قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ (22) قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (23) قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا

1- سورة البقرة، الآيتان63 -64.

2- ابن كثير، تفسير ابن كثير، المرجع نفسه، ج:2، ص:36-40.

فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ (24) قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (25) قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (26)[1].

إذن استلفت موسى قومه إلى نعم الله عليهم راجيا منهم الإقبال على عبادة الله و طاعته، فهو يرغبهم و يشجعهم على ذالك، لأن أسلوب الترغيب و التشجيع من الأساليب المؤثرة التي ينبغي على الدعاة أن لا يغفلوا عنها لما لها من تأثير في نفوس المدعوين.

و في الأخير جاء السياق القرآني مرة ثانية ليبين لنا أهم جمل الخطاب بين موسى عليه السلام و قومه بني إسرائيل و كيف كانت هذه النقاط مراعية في كل مرة السياق الذي ذكرت فيه:

1/ دعاء موسى لقومه بأن يستعينوا بالصبر و الصلاة على بلاء فرعون ففي هذا الدعاء أسلوب ترغيب من طرف موسى عليه السلام جاء من خلاله مراعيا لحال قومه بعد هذا البلاء.

2/ على الداعية أن يزرع الأمل في قلوب المدعوين و ذلك ليبين لهم أن النصر على يد الله.

3/ إن استلفات موسى عليه السلام لآية الشكر ناسب السياق القرآني في هذه المرحلة إذ لا بد للعبد أن يشكر ربه على النعم التي نعمها عليه.

4/ بعد اجتياح بني إسرائيل موجة من الكبر و الغرور و جحودهم بنعم الله عليهم و نكرانهم لجميل موسى عليه السلام عليهم و ذلك ما رأيناه في مواقفهم الخمسة التي ذكرها أدى هذا إلى

1- سورة المائدة، الآيات 20-26.

غضب موسى عليه السلام من قومه و تغير لهجة الخطاب معهم و ذلك بإتباعه أسلوب الترهيب تارة و أسلوب الوعيد تارة أخرى.

5/ و في آخر المطاف استلفت موسى عليه السلام قومه إلى نعم الله راجيا منهم الإقبال على عبادة الله و طاعته و ذلك عن طريق أسلوب الترغيب دائما.

* إذن هذه النقاط نستبين من خلالها مرة أخرى براعة موسى عليه السلام في مجال الدعوة إلى الله فهو داعي مراعي لكل الظروف بكل ما أتاه الله من قوة.

4- مراعاة مقتضى الحال في خطاب موسى للرجل الصالح (صاحب مدين):

اتسم سيدنا موسى –عليه السلام- بالأمانة في دينه و معاملته، و القوة في شخصيته، قد دعاه الرجل الصالح[1] على لسان ابنته ليجزيه أجر السقي فاستجاب موسى لدعوة الرجل الصالح، فلما وصل إلى بيت الرجل الصالح و قص عليه ما جرى قبل ذلك من قتله للقبطي، و من هروبه إلى أهل مدين طمأنه الرجل الصالح، و قال له: " لا تخف يا موسى من فرعون و قومه فقد أنجاك الله من كل ظالم"[2]، و هذا القول من الرجل الصالح لموسى صادف مكانه، و طابق مقتضاه، فقد كان موسى –عليه السلام- أحوج ما يكون في ذلك الوقت إلى نعمة الأمان و الاطمئنان[3].

1- قال ابن كثير:و قد اختلف المفسرون في هذا الرجل من هو على أقوال أحدها، إنه شعيب عليه السلام الذي أرسله الله على أهل مدين و هذا هو المشهور عند الكثيرين، و قال آخرون: بل كان ابن أخي شعيب، و قيل رجل مؤمن من آل شعيب (تفسير القرآن العظيم)، ج:5 ، ص: 384-385.

2- طنطاوي، محمد سيد. القصة في القرآن الكريم، دار المعارف (دط)، القاهرة، 1990، ج:10، ص: 397.

3- المرجع نفسه، ج:10، ص: 397.

و في ذلك يقول تعالى (فَجَاءتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاء قَالَتْ إِنّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمّا جَاءهُ وَقَصّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظّالِمِينَ)[1]

فموقف الرجل الصالح من موسى يبين أهمية الرفق في المعاملة و إكرام الضيف

و أمانة موسى و قوته كانت سبب في إعجاب الشيخ و ابنته، فأشارت إحدى الفتاتين على أبيها و قالت: "يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيّ الْأَمِينُ"[2]

و في هذه الآية إشارة على رغبة المرأة الصالحة في الرجل الصالح و على أنه من شأن الآباء أن يعملوا على تحقيق تلك الرغبة[3]

كما أن من جمع في سلوكه و خلقه بين القوة و الأمانة كان أهل لكل خير و محل لثقة الناس به على أموالهم و أغراضهم[4]

فعرض عليه إحدى الفتاتين مقابل أن يرعى الغنم ثماني سنوات أو عشرة تكرم منه و تفضلا فله الخيار في ذلك، فما كان لموسى إلا الوفاء بذلك العقد الذي تم بينه و بين ذلك الرجل الصالح، و قد قص القرآن الكريم ذلك في قوله تعالى: (قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ ۖ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِي إِنْ

1- سورة القصص، الآية 25.

2- سورة القصص، الآية 26.

3- محمد طنطاوي، تفسير الوسيط، المرجع نفسه، ج:10، ص:397.

4- ابن عاشور، تفسير التحرير و التنوير، المرجع نفسه، ج:20،ص:11.

شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ)[1]، فهذه الآيات الكريمة تعلم الوفاء بالعقد، و الثبات على العهد كشأن موسى كما دل قوله تعالى على لسان موسى (سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ)[2].

على أنه يجوز للمسلم أن يعرف خلقه لصاحبه لغرض في الدين أو في المعاملة فهذا لا يعتبر من باب تزكية النفس المنهي عنه لأن المنهي عنه ما قصد به قائله الفخر والتمدّح[3]، فقوله هذا "ستجدني إن شاء الله من الصالحين" يدل على إرادته في الإصلاح وحسن المعاملة و وطأة الخلق ولين الجانب، وذلك باشتراطه مشيئة الله فيما وعد و الاتكال عليه وعلى توفيقه ومعونته[4].

5- مراعاة مقتضى الحال في خطاب موسى مع الخضر:

لم يرد في القرآن الكريم ذكر اسم للعبد الصالح، وإنما جاء في صحيح البخاري أن اسمه الخضر لما جاء عن النبي –عليه السلام- "إنما سمي الخضر أنه جلس فروة بيضاء فإذا هي تهتز من خلفه خضراء"[5]، وتعد قصة الخضر مع موسى عليه السلام من أعجب قصص القرآن و أعظمها غموضا، قصة عبد أتاه الله رحمة من عنده، وعلمه من لدنه علما[6].

1- سورة القصص، الآية 27.

2- سورة القصص، الآية 27.

3- ابن عاشور. المرجع نفسه، ج:20، ص:11، ينظر.

4- الزمخشري، تفسير الكشاف، المرجع نفسه، ص:799.

5- رواه البخاري في صحيحه كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى ، حديث :3402، ص:819.

6-أحمد، بهجت. أنبياء الله، المرجع نفسه، ص: 264.

أما حقيقته هل هو ولي أم نبي فيوجد بين العلماء اختلاف في ذلك، فمنهم من قال أنه نبي، ومنهم من قال أنه ولي، وقال القرطبي "هو نبي عند الجمهور لأن النبي عليه السلام لا يتكلم ممن هو دونه ولأن حكم الباطن لا يطلع عليه إلا الأنبياء".[1]

و القرآن الكريم لم يتحدث عن هذا العبد الصالح أكثر من وصفه بأنه عبد من عباد الله أتاه الله رحمة من عنده، وعلما من لدنه، وإذا سئل هل هو أفضل أم موسى؟ فيقال لا يظن أن في تعلم موسى من الخضر ما يدل على أن الخضر كان أفضل منه، لأن المفضلة فضله الله، فإن كان الخضر وليا فموسى أفضل منه و إذا كان نبيا فموسى فضله الله بالرسالة[2].

وقد تفردت سورة الكهف بذكر اللقاء والحوار الذي دار بين موسى و الخضر ابتداء من قوله تعالى (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا (60) فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا (61) فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا (62) قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا (63) قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا (64)[3].

تشير هذه الآيات أن موسى عليه السلام هو من أولي العزم في الرحل إلى طلب العلم وتجاوز كل المتاعب و المشاق كي يلتقي بالعبد الصالح بدليل قوله تعالى حكاية عنه (لا أبرح حتى أبلغ

1- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، تحق: الدكتور محمد إبراهيم الحنفاوي، المرجع نفسه، ج: 11، ص:13.

2- الزحيلي، وهبة. التفسير المنير، المرجع نفسه، ج:5،ص:298.

3- سورة الكهف، الآيات 60-64.

مجمع البحرين أو أمضي حقبا) فهو يعلن تصميمه على بلوغ مجمع البحرين ومهما تكن المشقة ومهما يكن الزمن الذي ينفقه في الوصول، وهو يعبر عن هذا التصميم بما حكاه القرآن من قوله (أو أمضي حقبا)[1] كما كان عليه السلام مستمر في طلب العلم دون انقطاع وذلك أن على الإنسان أن يكون استمراريا في طلب العلم فما أوتي من العلم إلا قليلا (وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ الْعِلْمِ إِلاّ قَلِيلاً) [2].

فنبي الله موسى يحرص على مقابلة الخضر رغبة منه في زيادة العلم عنده ، أما قوله (آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هذَا نَصَباً)[3]، فهو يخبرنا عن الظروف التي رافقت رحلته من جوع وعطش وتعب و نسيان، إذ تعد هذه الظروف من مقتضى الطبيعة البشرية.

كما أن على المسلم أن يأخذ بالأسباب فهذا لا ينافي التوكل على الله، دل على ذلك قوله تعالى على لسان موسى: (آتِنَا غَداءَنَا)[4]، فموسى عليه السلام يأخذ معه الزاد مع معرفته بربه و توكله عليه.

ثم يحدثنا القرآن الكريم عن اللقاء والحوار الذي دار بين موسى والخضر فيقول تعال: (فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلّمْنَاهُ مِنْ لَدُنّا عِلْمًا (65) قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلّمَنِ مِمّا عُلّمْتَ رُشْدًا (66) قَالَ إِنّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (67) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ

1- قطب، سيد. في ظلال القرآن، المرجع نفسه، ج:4، ص:2278.
2- سورة الإسراء، الآية 85.
3- سورة الكهف، الآية 26.
4- سورة الكهف، جزء من الآية26

تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (68) قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (69) قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا (70)[1].

فمن خلال هذا الحوار الذي دار بين موسى عليه السلام والخضر نستخلص أن العلم ينقسم إلى قسمين: علم مكتسب يدركه الإنسان باجتهاده، و علم لدني يهبه الله -سبحانه وتعالى- لمن يشاء من عباده، فقد قال تعال في شأن الخضر: (وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا)[2] ، أي علمناه علما خاصا أطلعه الله عليه يشمل بعض الأمور الغيبية[3].

كما تبين هذه الآيات على أن موسى عليه السلام قد استعان بالله في طلب العلم ، فالله عز وجل لم يخذل طالب علم قد لجأ إليه، دل ذلك قوله تعالى: (قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا)[4]، فموسى عليه السلام هنا علق تحقق الصبر في طلب العلم على الله فقال: "إن شاء الله"، أي سأكون صابرا بمساعدة الله لي في ذلك وهذا دليل الاستعانة[5]. كما دل قوله تعالى: (سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا)[6] على أن الصبر في طلب العلم من الصفات التي ينبغي توافرها في طلب العلم، فسيدنا موسى عليه السلام يستعين بالله في تحقيق الصبر أثناء طلبه للعلم.

1- سورة الكهف، الآية 65-70.

2- سورة الكهف، جزء من الآية 65.

3- محمد الطنطاوي، التفسير الوسيط، المرجع نفسه، ج:8، ص:564.

4- سورة الكهف، الآية 69.

5- عبده، أحمد يزن. القواعد التربوية كما تصورها القصة القرآنية في سورة الكهف، رسالة ماجستير غير منشورة، ص:960.

6- سورة الكهف، جزء من الآية 69.

وإن طالب العلم لا بد أن يظهر تواضعه بأقصى الغايات للمعلم، وهذا ما كان في أسلوب موسى –عليه السلام- مع الخضر: "كان أسلوبا وديعا يعبر عن روح التواضع للعلم والعلماء من دون النظر للمركز الاجتماعي أو الديني الذي يقف منه العالم والمتعلم، فنحن نجد الأدب الرسالي في هذه الكلمات الهادئة المتعطشة للعلم الذي خاطب به موسى هذا العبد الصالح: (هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا)[1].

إن قوله تعال (قال له موسى هل اتبعك) هذا السؤال سؤال الملاطفة والمخاطب المستزل في حسن الأدب.

وقوله عليه السلام (تعلمن): يدل على إقراره عليه السلام بالجهل وعلى أستاذه بالعلم»[2] : كما أن قوله «مما علمت» فصيغه (من) للتبعيض فطلب منه تعليم بعض ما علمه الله وهذا أيضا يدل على التواضع كأنه يقول له: لا أطلب منك أن تجعلني مساويا في العلم لك بل أطلب منك أن تعطيني جزءاً من أجزاء علمك، كما يطلب الفقير من الغني أن يدفع إليه جزءاً من أجزاء ماله[3]

كما أن على المتعلم أن يراعي الأدب في خطابه للعالم كالتلطف في السؤال، وعدم الجزم عند الطلب وهذا ما كان من موسى –عليه السلام- عندما خاطب الخضر قائلا: (هل أتبعك على أن

1- سورة الكهف، الآية 66.

2- الرازي، التفسير الكبير، المرجع نفسه، ج:21، ص:483.

3- المرجع نفسه، ج:21، ص:483.

تعلمني مما علمت رشدا) بأدب لائق بنبي يستفهم و لا يجزم[1] فسؤاله هذا سؤال الملاطف والمخاطب المتنزل المبالغ أحسن الأدب[2].

وفي قوله تعالى (قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا)[3]، فالخضر هنا يقول لموسى فمن شرط إتباعك لي أنك إذا رأيت مني شيئا وقد علمت أنه صحيح إلا أنه خفي عليك وجه صحته، فأنكرت في نفسك ألا تفاتحني في السؤال ولا تراجعني فيه حتى أكون أنا الفاتح عليك، وهذا من أدب المتعلم على العالم والمتبوع على التابع[4].

ثم تحكي السورة بعد ذلك ثلاثة أحداث فعلها الخضر ولكن موسى لم يصبر عليها بل اعترض وناقش.

الحدث الأول: خرق الخضر للسفينة وفي ذلك يقول تعالى (فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا (71) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (72) قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا (73)[5]

الحدث الثاني: قتله للغلام وقد قصّ القرآن الكريم قوله تعالى (فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا (74) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ

1- قطب، سيد. في ظلال القرآن، المرجع نفسه، ج:4، ص:2279.
2- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، المرجع نفسه، ج:11، ص:17.
3- سورة الكهف، الآية 70.
4- النفيسي، أحمد محمود. تفسير النفيسي، دار ابن كثير، (ط) ،بيروت،1999م ،ج:2، ص:311.
5- سورة الكهف، الآيات 71-73.

تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (75) قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا (76).[1]

الحدث الثالث: إقامته للجدران وأخبر الله تعالى عن ذلك بقوله (فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا (77) قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (78)[2]

فبهذا اللقاء الذي دار بين موسى والخضر يستنبط منه العديد من النقاط:

إن نبي الله موسى –عليه السلام- وعد الخضر بأنه سيصبر إلا أنه بعد أن شاهد ما لا يرضيه اندفع مستنكرا[3]، لكن قبلها نرى أن الخضر يوجه موسى وينصحه بعد أن طلب منه أن يصحبه "إنك لن تستطيع معي صبرا" وذلك لعلمه بعدم قدرة الإنسان على الصبر على ما يخفى من الأسرار " وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا "[4].

ومنه نستخلص على أن الصاحب عليه أن لا يفارق صاحبه حتى يبين له الأسباب التي حملته على ذلك، فهذا الخضر يقول لموسى (سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا)[5]، أي قبل مفارقتي لك سأخبرك الأسباب التي حملتني على فعل ما فعلت مما لم تستطع معه صبرا[6].

1- سورة الكهف، الآيات 74-76.
2- سورة الكهف، الآيتان 77-78.
3- محمد طنطاوي، التفسير الوسيط، المرجع نفسه، ج:8، ص:556.
4- سورة الكهف، الآية 68.
5- سورة الكهف، الآية 78.
6- ابن كثير، اسماعيل تفسير القرآن العظيم ، المرجع نفسه ،ج:3، ص:198.

ويفهم من قوله تعالى (هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ)[1] إن موافقة الصاحب لصاحبه في غير معصية الله على رأس الأسباب التي تعين عن دوام الصحبة وتقويها، كما أن عدم الموافقة وكثرة المخالفة يؤدي إلى المفارقة[2].

وفي قوله تعالى (وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا)[3]، نستخلص أن صلاح الآباء ينفع الأبناء فقد قيل في تفسير هذه الآية: فهذا دليل على أن الرجل الصالح يُحفظ في ذريته وتشمل بركة عبادته ما ينفعهم في الدنيا والآخرة بشفاعته فيه ورفع درجتهم إلى أعلى درجة في الجنة لتقر عينه فيهم[4].

نستخلص أخيرا بعد كل ما قيل في الحوار الذي دار بين موسى عليه السلام والخضر والذي تفردت به سورة الكهف بعض النقاط التي جاءت مقتضية مطابقة للحال ومقامه وظروف هذا الحوار:

1.حرص موسى عليه السلام في طلب العلم، إذ نرى موسى أولي العزم في طلب العلم متجاوزا كل المشاق والصعاب وهذا رغبة منه في زيادة العلم عنده.

2. استعانة عليه السلام بالله في طلب العلم وذلك عن طريق الصبر، إذ نجد ذلك في قوله (سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا) الكهف.69

3.إظهار عليه السلام التواضع بأقصى الغايات لمعلمه وهذا من خلال أسلوب اللين والملاطفة للخضر بأرقى عبارات الأدب معه.

1- سورة الكهف، الآية 78.

2- محمد طنطاوي. القصة في القرآن،المرجع نفسه،ص:556-558.

3- سورة الكهف، الآية 82.

4- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، المرجع نفسه، ج:3، ص:199.

4.ثم تستوقفنا أحداث ثلاثة فعلها الخضر والتي لم يصبر عليها موسى عليه السلام بل اعترض وناقش وهذا ما ذكرناه في تلك الأحداث.

خَاتِمَة

خـــاتمـــة:

الحمد لله ربي العالمين والصلاة على الرحمة المهداة محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين و بعد:

فقد وفقنا الله ومنا علينا بعونه في إتمام هذا الموضوع المتواضع الذي تطرقنا فيه إلى سر مـــن أسرار من كتابه الكريم وهو مراعاة مقتضى الحال في الخطاب القرآني مع تطبيق هذا الموضوع على قصة موسى عليه السلام وقد توصلنا من خلال هذا البحث إلى نتائج أهمها:

1- القرآن الكريم مصدر من لمصادر العظيمة في نشأة معظم علوم اللغة و لاسيما منهم علم البلاغة.

2- للقرآن الكريم دور كبير في تطور علوم البلاغة العربية واتساع مجال البحث فيها.

3-إن ولادة مصطلح "البلاغة القرآنية" جاد نتيجة تضافر جهود العلماء في خدمة كتاب الله العزيز.

4-"مراعاة مقتضى الحال" خاصية من خصائص السياق القرآني في كل سورة من سوره.

5-"مراعاة مقتضى الحال "شرط من شروط بلاغة الكلام و جوهر من جـــواهر البلاغـــة القرآنية.

6-"مراعاة مقتضى الحال "هي كيفية كلامية يأتي فيها الكلام الكلي موسوم بطابع خاص.

7-إن مطابقة الكلام للمقتضى الحال هي مطابقة المقال للمقام.

8-تنحصر زوايا "مقتضى الحال" وفقى سياقها القرآني في ثلاثة زوايا ،زاوية حال السياق، زاوية حال المتكلم، زاوية حال المخاطب.

9- لـ"مراعاة مقتضى الحال"دورا و أهمية كبيرة في إنشاء الخطاب البليغ الذي يتأثر بأحوال المتكلم و المخاطب وما يحيط بهما من سياق.

10-القصة القرآنية هي من ألوان الإعجاز القرآني ووسيلة من وسائل الدعوة إلى الله.

11-إن تكرار القصص القرآني هي من صور الحكمة التي تواجه المدعو بما لذا و طاب من فنون الخطاب.

12-تعد قصة موسى عليه السلام من أروع هذه القصص القرآنية التي تكررت في العديد من سور القرآن لكن في كل سورة تجد ما هو جديد من خطاب و سياق و بلاغة خالفت السورة التي قبلها.

13-موسى عليه السلام عبر مراحل دعوته المختلفة ،كان داعي من دعاة الله إلى الحق بكل ما أتاه الله من قوة بيان وحسن خطاب فكان في كل الأحوال مراعيا لظروف المقام الذي كان فيه.

وختاما: لا نزعم أننا وفينا هذا الموضوع حقه، ولكننا قد بذلنا قصار جهدنا في أن يكون على أكمل وجه، فإن أحسنا فهذا من عند الله، وإن أسأنا فمن عندنا، وما توفيقنا إلا من الله عليه توكلنا وإليه أنبنا، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قَائِمَة
المَصادِرِ والمَراجِع

*** القرآن الكريم.**

أولا: الكتب.

1. أحمد بدوي، أحمد. من بلاغة القرآن،دار النهضة، (دط)،مصر، 2005م، ص: 47.

2. أحمد جاد المولى، محمد. قصص القرآن، تحق: محمد علي الشقيري، مكتبة دار الثقافة، (دط)، عمان، 1997م.

3.أحمد جاد المولى، محمد. و مؤلفون آخرون. قصص القرآن، المكتبة التجارية الكبرى، ط10، مصر، 1389هـ،1969م.

4. أزهري، ابن منصور بن أحمد. تهذيب اللغة، تحق: محمد عوض مرعب، دار أحياء التراث العربي، ط1، بيروت، 2001، ج:3.

5. أصفهاني، راغب. مفردات القرآن، تحق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، ط1، دمشق، 1412 هـ.

6. ألوسي، البغدادي. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، (دط) ، بيروت، (دت)، ج:1.

7. أندلسي، أبو حيان. البحر المحيط في تفسير القرآن العظيم، دار الكتب العلمية، ط1،بيروت، 1413هـ،1993م، ج:2.

8. أندلسي، أبو حيان. تفسير البحر المحيط، دار الفكر، ط2، (دب)، (دت)، ج:4.

9. بار محمد علي. الله جل جلاله والأنبياء عليهم السلام في التوراة والعهد القديم، دار القلم، دار الشامية، ط1، (دب)، 1990م.

10. بخاري، صحيح البخاري، ج:4981، وصحيح مسلم.

11. بدوي، أحمد. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مطبعة المجمع العلمي العراقي، (دط)، (دب)، 1407هـ،1987م ،ج:3.

12. بركة، عبد الغني. أسلوب الدعوة القرآنية، مكتب وهبة، (دط)، القاهرة، 1983م

13. بروسوي، إسماعيل حقي. تنوير الأزهار في تفسير روح البيان، إخراج و تحق: محمد علي الصابوني، دار الصابوني، ط1، 1988م، ، ج:3.

14. بسيوني، عبد الفتاح. علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني، مكتبة وهبة، (دط)، القاهرة، (دت)، ج:1.

15. بكر جابر. أيسر التفسير لكلام العلي الكبير، دار الخير، ط2،(دب) 1419هـ، م:4 ، ج:6 ، ص: 78، والثاني ج:4.

16. بكر شيخ أمين. البلاغة في ثوبها الجديدعلم المعاني، دار الملايين، ط6، (دب)، 1999م.

17. بكري، شيخ أمين. البلاغة العربية في ثوبها الجديد علم المعاني، دار العلم للملايين للتأليف و النشر، ط6،(دب)، 1999م، ج:1.

18. بهجت، أحمد. أنبياء الله، دار الشروق، ط4، (دب)، 1977م.

19. بيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر. أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي، مؤسسة شعبان، (دط) ،بيروت، ج:3.

20. بيومي، محمد. القصص القرآني، دروس وعبر للدعوة والدعاة، مكتبة الإيمان، ط1، مصر، 1999.

21. تأليف لجنة من العلماء، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مطبعة المصحف الشريف،ط 3،(دب)، 1992م، ج:1.

22. تمام، حسان. اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، ط5،(دب)، 1427هـ،2006م.

23. تونجي، محمد. المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1999م، ج:2.

24. جاحظ. البيان والتبيين، تحق: فوزي عطوي، دار الكتب، (دط)، بيروت، ج:1.

25. جاحظ، الحيوان، تحق: عبد السلام هارون، الناشر مصطفى البابي الحلبي،1381 هـ - 1965م.

26. جرجاني، عبد القاهر. أسرار البلاغة تعليق وتحق: محمد شاكرمحمود. دار المدني، (دط)، جدة، (دت).

27. جرجاني، عبد القاهر. دلائل الإعجاز، تحق: محمود شاكر، مكتبة الخانجي، ط2، القاهرة، 1410هـ.

28. جصاص، أحمد بن علي أبو بكر الرازي، أحكام القرآن، تحق: محمد مارق، القمحاوي. دار إحياء التراث العربي، بيروت، (دط)، 1405هـ، ج:1.

29. جميل، عبد المجيد. البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، دار الكتب العلمية، الهيئة المصرية للكتاب، (دط) ، (دب)، 1997م.

30. حازم، علي. أمين، مصطفى. البلاغة الواضحة، دار المعارف، (دط)، القاهرة، 1999.

31. حبنكة، عبد الرحمن حسن. البلاغة العربية، دار النشر، ط1، لبنان، (دت).

32. حجازي، محمد أحمد. التفسير الواضح، مطبعة المستقبل الكبرى، ط5، (دب)، 1972م، ص 24-25، ابن كثير، البداية والنهاية، م:1 ، ج:1.

33. حسن الشيخ، عبد الواحد. دراسات في البلاغة (عند ضياء الدين ابن أثير)، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، (دط)، (دب)، 1986.

34. حسين، مرتضى. تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، (دط)، (دب)، (دت)، ج:38.

35. حوى، سعيد. الأساس في التفسير، ، دار السلام، ط1، (دب)، 1989م، ج:7.

36. خازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم. تفسير الخازن، المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، دار الفكر، بيروت،

37. خالدي، صلاح عبد الفتاح. إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، دار عمار، ط1، عمّان-الأردن، 1421هـ،2000م.

38. خالدي، صلاح عبد الفتاح. القصص القرآني في عرض وقائع وتحليل أحداث، ط1، دار القلم، 1998، ج:2.

39. خالدي، صلاح. مدخل إلى ظلال القران، دار عمار للنشر و التوزيع، ط2، (دب)، 2000م.

40. خفاجي، ابن سنان. سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، (دت).

41. خفاجي، محمد عبد المنعم. من شرح الإيضاح للقزويني، المكتبة الأزهرية للتراث، ط3، (دب)،1413هـ، 1993م.

42. خولي، محمد إبراهيم. مقتضى الحال بين البلاغة القديمة والنقد الحديث، دار البصائر، ط1، القاهرة، 1428 هـ.

43. دراز، محمد عبد الله. النبأ العظيم، ط1، القاهرة ، 1969 م.

44. دريد، أبي بكر محمد بن الحسين. جمهرة اللغة، تحق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، ط1، بيروت، 1987 ج:2.

45. رازي، فخر الدين، محمد بن عمر. التفسير الكبير، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1990م، م:12، ج:4.

46. رافعي، مصطفى صادق. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، ط:9، بيروت، 1393هـ،1973م.

47. رشيق القيراوني،العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحق: محمد محي الدين عبد المجيد، دار الجيل، ط5، بيروت-لبنان، 1401هـ.

48. زاهية، الدجاني. القصص القرآني، دار التقريب، (دط)، بيروت، 1993م،

49. زحيلي، وهبة. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر،ط2 دمشق، 1418هـ،ج :19

50. زرقاني، محمد عبد العظيم. مناهل العرفان في علوم القرآن، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط1، الرياض، 1996م، ج:2.

51. زركشي، بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، دار التراث، (دط)، (دب)، (دت).

52. زمخشري، أبو قاسم. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيوب الأقاويل في وجوه التأويل، دار المعرفة، ط3، لبنان، 2009م.

53. زهرة، محمد. القرآن المعجزة الكبرى، دار المعارف العربية، (دط)، (دب)، (دت).

54. زيات، أحمد حسن. تاريخ الأدب العربي، ط:1،(دب)، 2006م.

55. سبكي، بهاء الدين. عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، دار السرور، (دط)، بيروت-لبنان، (دت)، ج:1.

56. ستيت، محمد الشحات. دراسات منهجية في علم البديع، جامعة الأزهر، ط1،(دب)، 1994م.

57. سعادات، المبارك. النهاية في غريب الحديث والأثر، تحق: الطاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، (دط)، بيروت، 1399هـ،1979 م،ج:2 .

58. سعدي، عبد الرحمان بن ناصر. تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، تحق: عبد الرحمان بن مقلا اللويحق، دار السلام للنشر،(دط)، (دب) ،(دت)، ج:29

59. سعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، تفسير أبي السعود، أو ما يسمى بإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ترتيب عبد اللطيف عبد الحمن، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1999م،ج:4.

60. سكاكي، علي. مفتاح العلوم، تحق: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، ط1، (دب)، 2000م

61. سكاكي، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، ط1، (دب)، 1983م.

62. سيد، غنيم سليمان. قصة موسى مع فرعون مصر في القرآن الكريم، جامعة الأزهر، (دط)، (دب)،(دت).

63. سيوطي، جلال الدين عبد الرحمن. الإتقان في علوم القرآن، مجمع الملك فهد، (دط)، (دب)، 1426هـ، ج:2.

64. شافعي، أبي الفضل بن حجر العسقلاني. فتح الباري، دار المعرفة، (دط)، بيروت، 1379، ج:3.

65. شنقيطي، محمد الأمين. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، عالم الكتب، (دط)، بيروت، (دت)، ج:2.

66. شهري، بن ظافر عبد الهادي، استراتجيات الخطاب دار الكتاب الجديدة، ط1، بيروت، 2004.

67. شوكاني، ابن علي بن محمد. فتح القدير الجامع بين من الرواية والدراية من علم التفسير، دار الفكر العربي، (دط)، بيروت، (دت)، ج :3.

68. شوكاني، محمد علي بن محمد. فتح القدير، الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، راجعه وعلق عليه هشام البخاري، ونصر عكاوي، المكتبة العصرية، ط1، صيدا، 1997، م11، ج:19.

69. شيخ بن الحسين، سفيان. القرآن الكريم بين علومه وإعجازه، (دط)، قسنطينة، (دت).

70. صابوني، محمد علي. صفوة التفاسير، دار الفكر، (دط)، بيروت، 1421هـ،2001م، ج:2.

71. صعيدي، عبد المتعال. البلاغة العالية علم المعاني، ط2، (دب)، 1991م.

72. طبارة عفيف عبد الفتاح. مع الأنبياء في القرآن الكريم، مطبعة دار الكتب ودار العلم للملايين،(دط)، (دب)، (دت).

73. طبانة، بدوي. البيان العربي، دار المنار، ط7، جدة، الرفاعي ، 1408 هـ، 1988م.

74. طبانة، بدوي. معجم البلاغة العربية، دار المنار، ط3، (د ب)، (د ت).

75. طبانة، بدوي. معجم البلاغة العربية، دار الهناء للنشر ، دار الرفاعي للنشر، ط3، جدة، (دت).

76. طبري، أبو جعفر محمد بن جرير. جامع البيان في تأويل القرآن، تحق: أحمد محمد شاكر،(دط)، (دب)، (دت) ،ج: 18.

77. طبري، محمد بن جرير. قصص الأنبياء، تحق: جمال بدران، الدار المصرية اللبنانية، ط2، 2000م.

78. طبري،جامع البيان عن تآويل آي القرآن بتفسير الطبري،تخر:صدقي جمل العطار ،دار الفكر (دط) (دب) ،1995 م م:11.

79. طنطاوي، محمد سيد. القصة في القرآن الكريم، دار المعارف (دط)، القاهرة، 1990، ج:10

80. عاشور، الطاهر. تحليل السديد وتنوير العقل الجديد وتفسير الكتاب المجيد، دار سحنون للنشر والتوزيع، (دط)، تونس، 1997 م، ج:1.

81. عاشور، محمد الطاهر. موجز البلاغة، المطبعة التونسية، ط1، نهج سوق البلاط (تونس)،(دت).

82. عاطف، فضل. البلاغة العربية، ط1، (دب)، 2006م.

83. عباس، فضل حسن. القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته، دار الفرقان، ط2، عمان، 1992م.

84. عباس، فضل. البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني)، دار الفرقان للطباعة والنشر و التوزيع، ط4، الأردن، 1417هـ،1997م.

85. عبد الباقي، محمد فؤاد. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ط4، دار الفكر، 1994م.

86. عبد الباقي، محمد فؤاد. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مطبعة دار الكتب المصرية، (دط)، (دب)، 1364هـ

87. عسقلاني، أحمد بن علي بن حجر. فتح الباري، شرح صحيح البخاري، دار الكتب العلمية، ط1،(دب)، 1989م، ج:6.

88. عسكري، أبو الهلال. الصناعتين، تحق:علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، (دط)،(دب)،(دت).

89. عكاوي، إنعام فوال. المعجم المفصل في علوم البلاغة، (مر) أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط 2، بيروت-لبنان، 1996.

90. علوي، حمزة يحي. الطراز المتضمن الأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، دار الكتاب العلمية، (دط)، لبنان، 1982م، ج:1.

91. علي العاكوب، عيسى. الكافي في علوم البلاغة، دار الهناء، ط1،(دب)، 1402هـ.

92. عمارة، محمود فودة. فقه الدعوة من قصة موسى عليه السلام، مكتبة الإيمان، ط1، مصر، 1997.

93. فارس محمد ، أسس في الدعوة ووسائل نشرها، دار الفرقان، ط1، عمان،1992م

94. فارس، أبي الحسين أحمد بن زكرياء. مقاييس اللغة، تحق: عبد السلام، محمد هارون. 1979م، 1399هـ، باب القاف مادة (قرى)، ج:5.

95. فتياني، تيسيير المحجوب، الحوار القرآني في قصة موسى عليه السلام، مركز الكتاب الاكاديمي، ط1، الأردن، 2004م.

96. فخر الرازي. مفاتيح الغيب تفسير الكبير،دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع،ط1 ،بيروت-لبنان، 1404هـ، 1981 م، ج: 10.

97. فداء اسماعيل . البداية والنهاية ،تحق :عبد الله بن عبد المحسن تركي ، دار هجرة للطباعة و النشر ، ط1، (دب) 1418 هـ ،1997 م ،ج:1.

98. فضل، صلاح. بلاغة الخطاب وعلم النص، دار علم المعرفة، (دط)، (دب)، صدرت هذه السلسلة في يناير1978.

99. فودة، عبد الرحيم. قصة بني إسرائيل من معاني القرآن، الدار القومية للطباعة والنشر،(دط)، (دب)، (دت).

100. قزويني. التلخيص في علوم البلاغة، (تلخيص كتاب مفتاح العلوم للسكاكي).

101. قزويني، الخطيب. الإيضاح في علوم البلاغة (علم البيان)، دار الكتب العلمية، (دط)، لبنان، (دت).

102. قزويني، الخطيب. الإيضاح في علوم البلاغة، شرح وتعليق: محمد عبد المنعم خفاجي، ط5، (دب)، 1980م، ج:1.

103. قزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن. التلخيص في علوم البلاغة، ضبط وشرح عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، ط1، بيروت-لبنان، 1902م.

104. قطان، مناع. مباحث في علوم القرآن، مكتبة وهبة، ط1، (دب)، 2000م.

105. قطب، سيد. النقد الأدبي أصوله ومناهجه، دار الشروق، (دط)،(دب)، 1998.

106. قطب، سيد. ظلال القرآن، دار إحياء التراث العربي، ط7، بيروت، 1971م، ج:6.

107. قطب، محمد. منهج التربية الإسلامية، دار الشروق، (دط)، بيروت، 1983

108. قلقيلة، عبد العزيز. البلاغة الاصطلاحية، دار الفكر العربي، ط3، (دب)، 1992م.

109. قيم، ابي عبد الله، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، ط 2، بيروت، 1393هـ،1973 م،ج:2 .

110. كثير، أبو الفداء إسماعيل. تفسير ابن كثير، دار الفكر للطباعة والنشر، (دط)، بيروت- لبنان، 1981م، ج:3.

111. كثير، الإمام الحافظ بن اسماعيل بن كثير الدمشقي. قصص الأنبياء، المكتبة العصرية، (دط)، بيروت، 1427هـ، 2006م.

112. كثير، تفسير القرآن العظيم، تحق: سامي بن محمد سلامة، دار إحياء الكتب العلمية، (دط)، (دب)، (دت)، ج:1.

113. كشك، عبد الحميد. المستكبرون والمستضعفون في القرآن الكريم، دار المختار الإسلامي،(دط)، مصر، (دت).

114. مبارك، مازن. الموجز في تاريخ البلاغة، دار الفكر، (دط)، (دب)، (دت).

115. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، دار الشروق الدولية، ط4، القاهرة، 1425هـ،2004م .

116. محمد العمادي، محمد. تفسير أبي مسعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)، دار إحياء التراث، (دط)، (دب)، (دت)، ج:8 ..

117. محمد بكر، إسماعيل. دراسات في علوم القرآن، دار المنار، ط1، القاهرة، 1991م.

118. محمد هدارة، مصطفى. البلاغة العربية، دار العلوم العربية، ط1، بيروت-لبنان، 1409هـ،1989م.

119. محمد، سامي. حريز، هشام. نظرات من الإعجاز البياني في القرآن الكريم، ، دار الشروق،(دط)، عمان 2005م.

120. مراغي، أحمد مصطفى. تفسير المراغي، دار إحياء التراث، ط3، بيروت، 1974م، ج:8.

121. مطعني، عبد العظيم إبراهيم. خصائص التعبير القرآني و سماته البلاغية، مكتبة وهبة، ط1، القاهرة، 1413هـ، 1992م،

122. مغربي، بن يعقوب. مواهب الفتاح في شرح التلخيص المفتاح، دار الكتاب العلمية، ط1، بيروت-لبنان، 2003م، ص:126.

123. منظور، لسان العرب، دار المعارف، (دط)، القاهرة، (دت)م:5.

124. منظور، محمد بن مكرم. لسان العرب، باب الفاء، مارة وكن، دار الفكر، ط3، بيروت، 1994،ج:5.

125. موسى، محمد. خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، مكتبة وهبة، ط 2، القاهرة، ص: 38-39.

126. نجار، عبد الوهاب. قصص الأنبياء، مؤسسة الحلبي للطباعة والنشر، (دط)، (دب)، (دت).

127. نفيسي، عبد الله بن أحمد بن محمود. تفسير القرآن الجليل المسمى بمدارك التنزيل، وحقائق التأويل، المكتبة الأموية، (دط)، دمشق، (دت)، ج:3

128. هاشمي، سيد أحمد. جواهر البلاغة، تحق: يوسف الصيدلي، المكتبة العصرية، ط1، بيروت، 1999م.

ثانيا: الدوريات .

1. عدلي، سميرة. رزق، محمد. مقتضى الحال مفهومه زوايا في ضوء أسلوب القرآن الكريم.

2. علوان، نعمان. نظرية مقتضى الحال بين أوستين والبلاغة العربية، مجلة كلية الآداب، منها العدد 7 يناير2001م.

3. محمد نحلة، سعاد. الاستئناف البياني دلالته وفنيته، مجلة الزهراء، كلية الدراسات الإسلامية والعربية، جامعة الأزهر، العدد الثالث عشر، 1415هـ.

ثالثا: مواقع إنترنت:

1. محمود أحمد زين، أثر علم البلاغة في تفسير القرآن الكريم، (مقال من موقع):

http://www.dhifaaf.com

2. محمد أحمد زين، أثر علم البلاغة عن تفسير القرآن الكريم، (مقال من الموقع):

http://www.dhifaaf.com/vb/showthread.php.?f=6103

تم بحمد الله